

مطالع السعود بأخبار الوالي داود

تأليف
الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري
(١٢٥٠ - ١٠٠٠ هـ)

اختصار
أمين الحلواني
رحمهما الله

نسخة مقطوعة من كتاب خزنة التواريخ النجدية
جمع وترتيب
الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام
رحمه الله تعالى

هنا مكتبتى

<http://huna-makhtby.blogspot.com>

وكان ممن انتقل أسرة المترجم (آل سند)، انتقلوا إلى الكويت،
وذلك في أول القرن الجادي عشر الهجري، فولد المترجم في جزيرة
(فيلكة) التابعة لدولة الكويت، ونشأ في هذه الجزيرة التي يمتلئ فيها أسرته
صيد الأسماك، وأخذ فيها مبادئ القراءة والكتابة.

ثم إنه رغب في العلم، فترح إلى مدينة البصرة القريبة من جزيرته، وكان
غالب سكان الخليج يتبعون مذهب الإمام مالك، فصار هو مذهب المترجم.
والجامع الذي استفاد منه هو جامع الكواز: (فحلة المشرق)، إحدى
محاليل البصرة، وبعد أن أكمل دراسته في الكواز، انتقل إلى المدرسة
المحمودية، ودرس فيها العلوم الطبيعية كالجغرافيا والتاريخ والعلوم
العصرية، ثم انتقل إلى المدرسة الخليلية، واستوفى في هاتين المدرستين
ما فيهما من العلوم.

كما قرأ في البصرة على العلامة الشيخ محمد بن فيروز، وعلى
الشيخ إبراهيم بن ناصر بن جديب والشيخ عبد الله بن شارخ، والعالم الكبير
الشيخ عبد الله البيتوشي، وعلى غيرهم من علماء البصرة والزبير.

ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن علمائه، كالصدر السيد محمد أسعد
الحيدري، مفتي الحنفية والشافعية ببغداد، والشيخ محمد أمين، مفتي
الحلة؛ والسيد أحمد الحياتي، قاضي بغداد. وقرأ على علامة العراق
والشام الشيخ علي بن الملا محمد بن سعيد السويدي، وعلى الشيخ السيد
زين العابدين المدني حين وروده إلى بغداد، وعلى الشيخ خالد النقشبدي.
ثم إنه حجَّ وجاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة مدة قرأ فيها على
علماء الحرمين وعلى من يرد إليهما من العلماء.

والمترجم من النوايح في سرعة الحفظ وجودة الفهم وبطء النسيان

والرغبة العظيمة في العلم والجد العظيم في تحصيله، وهذه العوامل الهائلة صيّرت منه — مع توفيق الله تعالى — آية كبرى في المحصول العلمي، وبكونه موسوعة كبرى في العلوم الشرعية والعلوم العربية والعلوم التاريخية وغيرها.

وقد درّس في البصرة والزيبر، وأخذ عنه تلاميذ كثيرون، منهم:

- ١ — الشيخ عبد اللطيف بن سلوم.
- ٢ — الشيخ عبد الرزاق بن سلوم.
- ٣ — الشيخ عبد الروهاب بن محمد بن حميدان بن تركي.
- ٤ — الشيخ عثمان بن محمد المزيّد.
- ٥ — الشيخ محمد بن تريك.

وقد عُيِّن مديراً ومدرّساً لمدرسة في البصرة بناها المحسن الثري محمود بن عبد الرحمن الرديني النجار البصري، وكانت هذه المدرسة في البصرة تسمى (المدرسة الرحمانية)، شقيقة الأزهر من حيث الأهمية، فكل متخرجي هذه المدرسة في عصره من تلاميذه.

كما تولى في البصرة الإفتاء والتدريس في المدرسة (الخليلية).

ثم إن الرالي داود باشا طلب منه المجيء إلى بغداد، فسافر إليه، فلما وصل إليه أجّله وعظّمه وجعله سميره ونديمه، فكان يقضي أكثر أوقات فراغه معه لما يجد في مجالسته من العلوم المتنوعة والآداب الجمّة.

كما عظّمه علماء بغداد، وتلمذوا عليه، واستفادوا منه، واعتبروا وجوده بينهم غنيمة كبرى، فبشر شيخ العصر من حيث وفرة العلوم وتنوع المعارف.

ثم إن الرجيه الكبير أحمد بن رزق طلب منه زيارة بلده الزبارة،

فاستأذن من الوالي داود، فأذن له في ذلك، فذهب فجعله الصدر المقدم في بلده، واحتفى به احتفاء بالغاً، واعتبر قدومه إليه زينة لبلاده، وغنيمة في بساطه، ورغب منه دوام البقاء عنده، ولكن الزبارة تضيق عن معلوماته وتصغر في وجه نشاطه العلمي، فعاد إلى عاصمة الرشيد بغداد.

مؤلفاته:

هي كثيرة جداً، ومفيدة لأنبأ ليست مجرد نقل، وإنما كتبها من علوم هضمتها، ومعارف شربها، فجاءت مؤلفاته بأفكار حرة من معارفه الخاصة، وبمعانيه المبتكرة، وصاغها بأسلوبه الأدبي وجمله البليغة، ومن هذه المصنفات:

- ١ - الشذرات الفاخرة في نظم الورقات الناضرة، نظم في أصول الفقه^(١).
- ٢ - منظومة في فقه المالكية سماها: الدرة الثمينة، في مذهب عالم المدينة.
- ٣ - تحفة التحف لمعرفة الصديق، في ألغاز الغرائض، توجد مخطوطة.

(١) وقد قرأها السيد الشيخ محمد الرافعي أديب طرابلس الشام بقوله: وقفت على هذه الشذرات فنضيتها على شذرات الذهب، وقلبت طرفي في هذه الزهرات التي أصابها صوب الأدب فتصاعدت الزفرات إلينا شوقاً إلى ناظمها، فكيف مثل هذه الدرة أن تحرم من الشام وتحظى به البصرة، ولعمري إنه لجدير أن تُسند إليه الرواحل، ويُرفع مقامه على الرؤوس والكواهل، ويفضل على أبناء عصره تنقيب الفروض على النوافل. كنهه الفقيه محمد الرافعي، وهو في حلب عام ١٢١٥هـ.

وقرأها الشيخ عبد الله العفاني فقال: نظرت في هذه الشذرات التي هي كالزهرات، لنرآها ابن اليردي لقال: هذه من بعض وردي، ولا أظن يبري الزمان أخاها روماً يجري مجراها، كيف وناظم عندها وناسج بردها الفاضل النبيل وارث سيبويه والخليل عثمان بن سند، فلقد رأيت في حلب قرأبت منه العجب.

٤ - الفائض في علم الفرائض، توجد في مكتبة المحامي عباس عزاي ومكتبة العزاي انتقلت إلى مكتبة جامعة الملك سعود في الرياض.

٥ - النخبة في أصول الحديث.

٦ - نظم النخبة في أصول الحديث للمحافظ ابن حجر.

٧ - شرح ذلك النظم.

٨ - منظومة في العقائد سماها: (هادي السعيد في جوهرة التوحيد)، ضمنها جوهرة البرهاني اللقاني، وزاد عليها.

٩ - الصارم القرفاب في نحر من سب أكارم الأصحاب، وهي مجموعة شعرية تضمنت أكثر من ألفي بيت، وجميعها في الرد على الشاعر الشيعي دعل الخزامي، وهي عندي أنا محرر هذه التراجم بخط الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد صاحب السحب الرابطة في طبقات الحنابلة، ويوجد منها نسخة في مكتبة (رامبور) في المكتبة العباسية^(١).

(١) لما قال هذه القصيدة التي ردّ بها على الشاعر الشيعي دعل - فبحه الله - أجازها عليها الشيخ يوسف بن أحمد بن محمد بن رزق العقيلي جائزة سنة فأتبع عثمان بن سند رده على دعل بهذه القصيدة في مدح يوسف بن رزق وهي هذه:

أَنْتَ يَحْرُ أَنْجَشَكَ بِحُورِ	تَحْنِيهَا إِلَى أَرْجِ الْكَمَالِ بِدُورِ
سَمِرَتْ بِأَنْطَابِ عَلَى قُطْبِ رَأْيِمِ	دَوَائِرِ أَفْلَاكِ الْأَمْرِ تَدُورِ
أَبُوسَافٍ فَاخْرُ إِنَّمَا أَنْتَ طَالِعِ	بِهِ السَّعْدُ يَدُورُ وَالشَّرُّورُ تَفُورِ
بَعَثْتَ الْتُّدَى فُفْلًا وَأَجْرِبْتَ حَيْثُ	كَأَنَّ التُّدَى مِثْ وَبَذَلْتَ صُورِ
وَإِنْ لَمَّا الْمَدْحُ عَنْكَ لِقَاعِ	وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا فَعَلْتُ تَصُورِ
وَيَا رَبُّ فَرَعٍ فَاقِ بِالْبَذْلِ أَهْلَهُ	وَإِنْ أَخَّرْتَهُ أَزْمَنُ وَعَصُورِ

إلى تمام القصيدة، وهي في (٢٤) بيتاً.

١٠ - أصفى الموارد من سلال أحوال بني خالد، قال الشيخ صالح بن عثيمين في كتابه (السابلة): هو كتاب نفيس يحتوي على فوائد تاريخية وفرائد أدبية، ومن اطلع عليه علم ما للمترجم من اليد الطولى في فنون الأدب.

١١ - كتاب نظم في تاريخ ومدح الإمام أحمد بن حنبل.

١٢ - مطالع السعود بطبب أخبار الوالي داود، وهو كتاب ضخم جمع فيه وقائع القرنين الثاني عشر وأول الثالث عشر، وهو عندي، وهو من مراجع هذه التراجم التي نجمعها.

وقد اختصر مطالع السعود الشيخ أمين الحلواني المدني في ثلاث كراسات، وطبعه محب الدين الخطيب بمطبعة الفتح، وعلق عليه. والحلواني زاد فيه، ومن تلك الزيادة أنه زار الإمام فيصل بن تركي آل سعود في الرياض، ووصف بلاط الإمام فيصل، وهذه الزيادة وقعت بعد وفاة مؤلف الأصل.

١٣ - الغرر في وجوه وأعيان القرن الثالث عشر، ولكنه لم يتم.

١٤ - سبائك المسجد في أخبار أحمد بن رزق الأرشد^(١).

١٥ - تاريخ بغداد.

أما مؤلفاته في اللغة العربية نحرها وعرفها وبلاغتها وعروضها فنبى:

١٦ - نظم مغني اللبيب لابن هشام في خمسة آلاف بيت، وهو من أهم كتب قواعد النحو.

(١) وأحمد بن رزق هو أحمد بن حسين بن رزق العقيلي أحد بني جبر، انتقل من بلد الزبارة، واستوطن بلدة - فردلان - ، وقد توفي فيها عام ١٢٢٤ هـ، وخلف أموالاً عظيمة، وثروة كبيرة آلت إلى ابنه محمد:

١٧ — نظم الأزهرية للشيخ خالد الأزهرى.

١٨ — نظم قواعد الإعراب لابن هشام.

١٩ — منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة، توجد في مكتبة الشيخ محمد العوجان إن كانت لا تزال محفوظة.

٢٠ — منظومة في العدد.

٢١ — كشف الزبد عن مسلسل العدد في تذكيره وتأنينه.

٢٢ — هدية الحبران في نظم عوامل جرجان، أي عوامل الفاضي الجرجاني.

٢٣ — رسالة في كسر همزة إن وفتحها نظم في (٤٢) بيتاً، توجد في المكتبة العباسية في البصرة.

٢٤ — الغشبان عن مثلة الإنسان في النحو والصرف، وتحتوي على (٢٤٧) صفحة توجد في المكتبة العباسية في البصرة.

٢٥ — تعليقات على شرح الكافية للرضي، توجد في المكتبة العباسية في البصرة.

٢٦ — منظومة في البلاغة، توجد في المكتبة العباسية لآل باشا أعيان.

٢٧ — الجواهر الثريد في العروض.

٢٨ — منظومة في علم التوافي باسم (السبيل الصافي) منها نسخة في خزانة كتب الآلومي.

٢٩ — منظومة في قافية موحدة اسمياً: (الجيد في العروض).

٣٠ — منظومة أخرى في الموضوع نفسه.

هناك رسائل وقصائد ومناظيم كثيرة للمؤلف، ولكنها موزعة بين المكتبات الخاصة والعامة.

وليت بعض الشباب الجاد حاول جمع تراثه، وقَدَّم فيه شهادة، فإنها ستال إعجاب العلماء والمفكرين.

ما قاله العلماء عن المترجم:

— قال الشيخ عثمان المزيد من سكان مدينة عنيزة: وأنشدنا لنفسه شيخنا العلامة الفاضل الشيخ عثمان بن سند المالكي البصري ومدرسيها:

حذار حذار من إغصاب شيخ	فلان الشيخ معروف الحقوق
فلان الله يغفر كل ذنب	سوى ما للمشايخ من عقوق
فلا تطلب بلا شيخ علوما	فذا حقيق يؤذي للفسوق
ف (طه) شيخه جبريل يروي	عن الله تعالى ذا وثوق

— وقال الشيخ بهجة الأثري: ابن سند العربي انقح الفحل المسلم، مثله من ينبذ لمناشة دعبل الخزاعي، ويكيل له الصاع صاعين في الدفاع عن حياض سادات المسلمين.

— وقال بعض مؤرخي الزبير: الشيخ عثمان بن سند من أكابر العلماء الأجلاء الذين تفخر بهم البصرة والزبير، ساجل علماءها وأئف الكثير في علوم العربية والمنطق وسائر العلوم، وهو إلى ذلك شاعر فحل.

— وقد ترجم له مراد أفندي فقال: الشيخ عثمان بن سند النجدي ثم البصري الوائلي نبأ، هو الإمام العلامة الرحلة الفياضة، حنَّان زمانه، ويديع أوانه، خاتمة البلغاء، ونادرة التبغاء، صاحب المؤلفات البديعة منها (أصفي الموارد) كتاب نفيس يحتوي على فوائد تاريخية وفوائد أدبية، من اطلع عليه عَلِمَ ما للمترجم من اليد الطولى في فنون الأدب نظمًا ونثرًا.

— وقال الشيخ خالد النقشبندي: إن الشيخ عثمان بن سند حريري الزمان، وقد أثنى عليه جمع من الأئمة.

— وقال الشيخ الفاضل أحمد الشهباني اليمني في كتابه (حديث الأفراس): القول فيه (عثمان بن سند) إنه طرفة الراغب، وبغية المستفيد الطالب، جامع سور البيان، ومفسر آياتها بالطف تبيان، أفضل من أعرب عن فنون لسان العرب، وهو إذا نظم أعجب، وإذا أثر أطرب، إنه لإمام هذا العصر.

وقد صنف مطالع السعود في أخبار الوالي داود، جمع فيه إلى أخبار العراق وأحداثه وأخبار نجد باديتنا وحاضرتنا، ولما اطلع عليه الوالي داود أكرمه وأجله وأدناه، وصار هو جليسه ونديمه، وعلم من هذا السفر الجليل قيمة الشيخ عثمان بن سند العلمية والأدبية والتاريخية.

— وقال أحد مؤرخي الكويت: إن نزوع ابن سند في فن السيرة نزوع المؤرخ الضليع، ولنا نجافي الواقع لو أطلقنا عليه اسم (مؤرخ الخليج العربي) لعديد ما وضع من المؤلفات في الجغرافيا، وسيرة أبناء هذا الساحل العربي الأصيل.

— وقال الشيخ إسماعيل المدني: إن هذا الفاضل ممن شاع ذكره، وملا الأسماع مدحه وشكره، فهو من العلماء العارفين، ومن أفاضل المحدثين، له اليد الطولى في العلوم العربية، والفنون الأدبية، نظم غالب الحتون من سائر الفنون، وقد اشتبر في هذه الديار، وظهت ظهير الشمس في رابعة النيار، وكان حنبلي المذهب، فتحول إلى مذهب الإمام مالك.

— وقال الشيخ يوسف بن راشد المبارك: الشيخ عثمان بن سند هو العلامة، والعمدة النجامة، له تاريخ مطالع السعود، فيه غرائب وفوائد قد

أفنى على الدهر، ولولا هذا الإمام لكانت هذه الوقائع في عالم النسيان.
 — وقال جامع هذه التراجم عبد الله بن عبد الرحمن البسام عفا الله
 عنه: إن الشيخ عثمان بن سند من كبار العلماء، ونوابغ البلغاء وفحول
 الشعراء وأنه موسوعة علمية في كل باب من أبواب العلم، وفي كل فن من
 فنون الأدب، فبقو عالم عصره، وعلامة عصره.

وحن نسي عليه، وندعو له حينما تصدى للشاعر الينحاء الخبيث
 دعل الخراعي الذي تبجّم — قّحه الله — على سادات الصحابة أبي بكر
 وعمر وطلحة والزبير وعائشة وأندادهم، فبجّاهم وشتّمهم وازدراهم،
 فتصدى له الشيخ عثمان بن سند بالرد عليه بمجموعة شعره (الصارم
 لقرضاب في نحر من سب أنكارم الأصحاب) فكان في هذا الرد الشيخ
 ما يشفي العليل ويروي الغليل.

ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونومه، وهو النحدي الأصل، ونجد
 هي مست السنية أن يسحر مع المحرفين عن هذه الدعوة السنية، ويكون
 مع أصحاب الطرق الصوفية، ثم لا يكتبه هذا حتى تدول بالسب والسنة شيخ
 الإسلام ابن تيمية صاحب لمدرسة السلفية مما جعل الشيخ عثمان بن
 منصور الناصري يرد عليه، وهو معاصر له ومجاور في العراق مدة صلب.

وكتاب الشيخ عثمان بن منصور اسمه: (الرد الدافع على المراءم أن
 شيخ الإسلام ابن تيمية رائة)، تأليف الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن
 منصور النجدي عفا الله عنه.

— وقال الشيخ عثمان بن منصور في مقدمة رده: قال عثمان بن
 منصور الناصري العمري التميمي الحلبي ستراته عيوبه، وعثر له ذنوبه،

ردًا على عثمان بن سند الفيلكي ثم البصري مامحه الله، لما سب شيخ الإسلام وقدوة الأعلام أحمد بن تيمية قدس الله روحه، ونور ضريحه، ونسبه مع ذلك إلى التجسيم والتضليل في محاوره صدرت يبي وبينه، فأتى به فيها معترضًا بسبه، وأنا أسمع بحضرة تلميذ له يقال له (محمد بن تريك) فبدى بالكلام في ذلك السب، وأقذع وسب مع ذلك نجدًا وأهليًا، فحيتد لم أتمالك عند سبه شيخ الإسلام إلا أن قلت منقيرًا له...

هذا مع ما جاء في المقدمة، ولم أعثر فيما عندي من الأوراق إلا على المقدمة. ولعل الله ييسر الباقي، فجزى الله الشيخ عثمان بن منصور خيرًا على غيرته وورده^(١).

وفاته:

أجمع المؤرخون على أن وفاة المترجم في بغداد، واحتلوا في سبيلها. وأراحه أن وافته عام ١٢٥٠ هـ. وقد دُفن محاورًا للعالم الشير معروف الكرخي. وحببنا الله تعالى.



(١) بعد هذا عثرنا على، وذكرنا في ترجمة الشيخ عثمان بن منصور. المقدمة

مطالع المسود باخبار

الوالي داود قاضي الشيخ
 زكي عثمان بن عبد الله بن
 المختار الرازي حلواني

مكتبة
 مسطرة
 مسطرة
 مسطرة
 مسطرة
 مسطرة
 مسطرة

صورة صفحة العنوان من مخطوط «مطالع المسود باخبار الوالي داود»
 للشيخ عثمان بن عبد الله بن المختار الرازي حلواني.

سند البصري من اخبار الوزير داود باشا والي بغداد وبعد هذا
 صار المؤلف يسرد ابحاثا ادبية وقصائد وثرا والة على
 سعة باعه في المنثور والمنشور ولكنها مخلوها من الزناث
 التارخية اضربا عنها فان اكثرها احايى ونواد على
 طريف المقامات ليس هذا المختصر لمخليا وقد سم
 المختصر على يد جامع الفتيه اليه تعالى امين
 ابن حسن حلواني المدني المكنى بفتح
 الله برحمة تحرير في ١٥ القدر
 سنة ١٢٩٣ هـ ثلاث وثمانين
 ومائتين والف من هج
 سيد المرسلين صلى
 الله عليه وسلم

صورة آخر ورقة من مخطوط دمحضر الخطابي لكتاب مطالع السعوى

لمشيخ عثمان بن سيد الشري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الفقير إلى الله تعالى الملتجئ إلى حرم نبيه ﷺ أمين بن حسن
حلواني المدني عفا الله عنه:

هذا مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري أنه في أخبار داود
باشا وثني بعداد سابقا، ولقد أظن وأحاد فيما أيدعه من المديح ومن
المسآت التي هي الزس السلافة، فاحتصرته مع حذف المكرر والقائد
والمسيح الزائد، واقتصرت منه على مادة التاريخ فقط، لأنه هو المقصود
من ذلك في زماننا وأما علمه الأدب فله كتب محتصة به يؤخذ منها وليس لي
في هذا التاريخ إلا محرز الاختصار مع بناء المعنى على حله إمام الشيخ
رحمه الله تعالى لم يكتب لأبني سنة [١٠٠] مع أنه توفي رحمه الله سنة
[١٠٢] والوزير داود باشا حل في ولاية بغداد إلى سنة [١٠٣] ولم
نعلم السب الذي مع الشيخ من تنعيم التاريخ في هذه الأربع سنين
الأخيرة مع أن أطيب زمان داود باشا هذه الأربع سنين لأنه فيها اتبعت له
إرباسة وتمت له القوة والدولة، ونظاعه جميع العراق المحصر والبدو،

(١) تاريخ غير منبوم في الأصل

(٢) تاريخ غير منبوم في الأصل

(٣) تاريخ غير منبوم في الأصل

وفيهما عصى على السلطان واستبدَّ وطلب الاستقلال، أى بأن يكون ملكاً مستقلاً على العراق وضرب السكة باسمه وعمل سائر أسباب الاستقلال.

في هذه الأربع سنين الأخيرة هي أحقُّ بتاريخها لكثرة الوقائع المشعة فيها لكن داود باشا لم تساعدته التقدير كما ساعدت محمد علي باشا والي مصر بل داود باشا حنَّز السلطان محمود عليه عسكرياً ورئيسه علي باشا فنبذت عسكر داود باشا أو حاشته فأسره علي باشا وأرسله إلى إسطنبول وحلَّ فيه مكرماً إلى سنة، ثم أرسلته الدولة بعليّة واليّا على مدينة سمندرة ونشئ فيه إلى سنة، ثم انتس إلى رحمة الله تعالى، ودفن بالبقيع الشريف بقرب مدفن سيدنا عثمان بن عفان وحلَّ على قبره شركاً من الحديد بدل القبة ولعل هذا برصية منه [١].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام العالم النحرير الشيخ عثمان بن سند البصري رحمه الله
في بحبوحة جنانه، وبعد:

(١) أمير

فقد كنت أوعدت حصرة الوزير داود باشا في سنة أربع وثلاثين
ومائتين وثلاث تأليف تاريخ يتضمن ذكر أوصافه، فتناولت أيام الوعد
وطول أنني سبت لظول العبد، وما ذلك إلا لكثرة همومي بتسليط نواب
الدهر عليّ ولَكُمْ حَتَّى الأديب عبد النادر بن عبيد الله الحيدري قاضي
الحرّة على تنجير ما أوعدت به، وكذلك وَلَّح عليّ محمد أسعد أفندي بن
النائب ثم بعد مضي سنوات أرسل إليّ الوزير المذكور وطلبني للحضور
بين يديه وتكريمي وَلَّح عليّ في تنعيم هذا التاريخ وذلك في سنة ١٢٤١ هـ
بحدي وأربعين ومائتين وثلاث، فابتدأت بتاريخ مترجماً به قل ورارته إلى
آخر المدة مبتدئاً من سليمان باشا^(١) إلى ابنه سعيد باشا المقتول
وُلد الوزير المترجم داود باشا في بلدته^(٢) سنة ١١٣٨ هـ ثم

تاريخ
١٢٤١ هـ

(١) سليمان باشا هذا هو سيد داود باشا، وهو الذي اشتراه ورياه وعسعه.

(٢) في بلدته ما نعلم اسم بلدته، وقد سمعنا من أقواة شيوخ هذا أنه أهل بلد داود
باشا هي بلاد الكرج، وأن أصله من اشتراه وجلبه إلى بغداد مصعنى بك
الربيعي، ثم أهدها إلى سليمان باشا، وتسلم على يده وعسعه اترآ واحسوم إلى
أن صار من أمره ما صار، والله أعلم.

وثلاثين ومائة وألف بالتخمين، وبديل قوله بنفسه أنه قدم بغداد وعمره إذ
ذاك إحدى عشر سنة، والوزير سليمان باشا محاصر الحسكة من أرض
الخزاعل ثالث مرة، وتلك المحاصرة معلومة عندنا أنها في سنة ١١٩٩هـ
تسع وتسعين ومائة وألف ولما قدم بغداد أسلم وحسن إسلامه وقرأ القرآن
وجوّده ولا زال يترقى في جميع العلوم إلى أن انتبت له الغابة النصوى
والمعارف وجمع له بين الرياسة والانفراد في العلوم على جميع ممالك العراق.

فمن الوقائع التي وقعت سنة ولادته محاصرة الزندي الراضي البصرة
وحاصرها بالجيوش والأعراب، وصبروا أهلها على الشدائد وحاموا عن
وطنهم ودينهم وكان متلمبا إذ ذاك سليمان بك الذي آلت إليه فيما بعد
وزارة بغداد فصابر وحامى عن البصرة بيته، وكان الوزير في بغداد إذ ذاك
عمر باشا فبلغه الخبر ولم يمد أهل البصرة في تلك الشدائد حتى أكلوا
الكلاب والبرر، وقد حضر ثامر بن سعدون وتريني^① بن عبد الله شيخ
المتنقى، أول المحاصرة لكه لما اشتد الحصار فرأوا سليمان بك لا زال
يكاد في المحاصرة الأهرال، وهو يتطرر العدد من الدولة العلية، ومع ذلك
عمر باشا يكرر الرسل إلى إسلامبول ويطلب الحد من الدولة وهم
لا يساعدونه إلّا بالمواعيد ثم إنه بعد مدة طويلة أرسلت الدولة العلية عَرْضِيًّا
جرار لمعاونة عمر باشا [٢] في العرضي ثلاثة وزراء عبد الله باشا ومصطفى
باشا وعبدى باشا، فلما خيموا حول بغداد أشاعوا أن السلطان صالح هو
وملك العجم كريم خان، وأنه سيُخرج الرواض من البصرة، ثم إنهم أظهِروا
عزل عمر باشا فصرف عن الوزارة وخيم خارج بغداد، وتولّى الوزارة بدله
مصطفى باشا، وبعد أيام أحاطوا بعمر باشا ليلاً وقطعوا رأسه، وأظهِروا أن
أمراً بذلك. وهذا في سنة ١١٩٠هـ، فمده حكمه ثلاث عشرة سنة.

① تويني

ثم إن مصطفى باشا ظهر أنه محبٌ للعجم في الباطن، فأرسل إلى مستلم البصرة سليمان بيك يحبره أن المدد من الدولة بعيد جدًا، وأنه مطلع على حقيقة الحال فأمر سليمان بيك إما أن يصالح العجم، أو أنه يُسلم لهم البلدة، وأيضًا كتب بخلاف الواقع إلى الدولة العلية أنا صلحنا مع العجم انتظم وأنهم رفعوا عساكرهم عن البصرة، فلما سمع أهل البصرة هذا الخبر أيقنوا أنهم آلوا إلى التلاف فخرج أعيان البصرة إلى صادق خان رئيس عرشي العجم، وطلبوا منه الأمن على النفوس والأعراض، وأباحوا له ما سواهما، فدخل البصرة وأباحها أيما وعمل فيه هو وعسكره من التناك ما لم يُسمع به في مدة قط وقبض على أعيانها، وعلى سليمان بيك، وهذا خلاف المعاهدة وسب أصحاب النبي ﷺ على السامر، وودى بحي على حير العمل، وهرب العلماء، وكل من له قدرة على الهروب، وصار العجم يشرعون الناس بالسياط والعصي لأجل المغارم وكل يوم يزيد السلاء إلى أن خرجت البصرة وفرّ أهلها.

وكتب الأديب عبد الله بن محمد الكردي البتوشي كتابًا جمع فيه من البلاغة أنواعًا إلى سليمان بن عبد الله بن شاوي الحميري لكونه شيخًا من شيوخ العراق ويذكره فيه بالنخوة والبرودة، ويبين له فضائل البصرة وأنها أساس جميع العلوم، وأنه يسعى حديثًا ونجدة أهلها، ولكن بعد أخذها وهتكها نعدّرها معاونة ابن شاوي لأهلها، فلما تملك رئيس العرضي البصرة، طمعت نفسه لأن يغزوا المتنفق وأعراء شؤمه لذلك، فلما خرج من البصرة ووصل إلى ديار المستنق اتفق أن قابله ثلاثون فارسًا من فرسان المستنق اتساقًا فشب بينهم قتال وعصر الثلاثون فارسًا عشر الكرام، وكانت البزينة على جيش العجم وذلك في موضع يسمى البزينة قريبًا من

الفرات، فرد الله كيد العجم في [٣] فحرهم، حيث خذلهم الله بثلاثين فارساً، ثم إن العجمي رجع إلى البصرة وعبر جيشاً أكبر من الأول وأميره محمد علي خان المشهود له بالشجاعة وعزم على غزو المتفق ثانياً لينقل عنه العار الأول، وكان مع العجم قبيلة كعب الرواحي.

فلما انتفى الحسمان أراد الصلح ثوين وثامر، ولكن العجمي أبا الصلح واشترط شروطاً تأبداً شيم العرب، فذني يوم نشبت الحرب بين الثربتين من الصبح إلى المساء وصارت مقتلة لم يسمع بشي، وكانت البزيمة في آخر النهار على العجم، وقتل أمير جيش العجم محمد خان وأكثر العجم ماتوا غرقاً لأنهم لما اتبزموا فروا إلى انترات وبرزراحي استن وملاؤوها حتى ثفلت وغرقت والعجم لا يعرفون الساحة، وعجم اعرب معنت لم يسمع بعشته لأن العجم كانوا منبريين من أسوان أهل القصرة، ووفدت اشعراء ثويني لنسبته خصوصاً نسل محمد علي خان، ومن شيد هذه الواقعة وأدى من البسالة غايته حمزة بن ثامر ومحمد بن عبد العزيز بن معسر وهذه الواقعة التي عرفت بين العرب وقعت سنة، فلما قتل عمر باشا وترنى مصطفى باشا صبرته حياء ولا تدبر له وعصى عليه عبد الله بن وحرث حمزة فرت عنه ذو كثر الشك في حقه، وفي همدان الأمور، وأرست الدولة عربة ووزير مدني عدي باشا، وتددى عبد الله باشا في الخروج واستعبان إلى أن فتح السلطان استيلاء العهد على القصرة بعد متي سنتين من أخذها بعض السلطان عبد الحميد عتاً شديداً، وراد غصده بنش عمر باشا وأمر وزير على السلطان مكدر ب عليه وأمر في الحان بقتل مصطفى باشا، وأرسل فرماً لمرل عدي باشا عن وزارة معزاد وتولية عبد الله على حقه، وأمره في الحان تحفير عكر إلى القصرة لإخراج العذر الرافعي منها وير عنه استل منه سيمده - نعاكر وبالأمور

فأما عبد الله باشا فإنه اشتغل ببلذاته وشهواته، وكان شرفاً على اتباع شهواته، وأهمل أمور الحكومة، وفرض الأمر إلى وكيله عجم محمد العجمي وعجم محمد هذا لم يكن فيه وصف يحمد أبداً وأمله من مَنَلَةِ الناس وأطرافها، مع ما فيه من سوء السيرة والسريرة وأصله جاء من بلاد العمم هو وأمه وأخته، وهو أمر د جميل الصورة، فصار إخوته يرقص في المحافل، وهو أيضاً يرقص وبزمر ويطلق، لكن ساعدته المتأدير إلى أن صار [٤] من صدور بغداد كما قال الشاعر: قدّمتم أعجارهم للصدور، فأنبمك على أكل الرشا ونوع في المظالم والنشامة إلى متبهاها حتى هرب أكثر تجار بغداد من ظلمه ومغارمه.

وأصل من رقى هذا اللثيم هو عمر باشا فحرت رذائله عليه حتى عزل عمر باشا وقتل، فشرح الناس من خلاصهم من شر هذا الوعد إلا أنه لما قرّبه أيضاً عند الله باشا ازداد غم الناس أكثر من الأول خصوصاً حيث ولّاه حارن دارينه راد طعيانه، والباشا غارق في بحر الحيلة وكثر الحجاب حتى أنه لما ورد من لسلطان حرائن أصرفها في تحبير العساكر لإخراج الروافض من البصرة تحابل عجم محمد وأطير مقاريف لتك الخرائن، وتلك المصاريف هي مصورية، وأما في الدس دغلب تلك الحرائن احتصامها لنفسه عجم محمد وأطير للباشا أنه أصرفها في لوازم الحرب، وصدقه الباشا لعنلته وبلايته وكثرة حجابيه، وأنبماكه على لذاته وشرايه، وكتب الخارندار على لسان الوزير كتاباً إلى الدولة العلية بأن العساكر العجم رحلوا عن البصرة واستلموها والحمد لله على ذلك، والحال أن الأمر كذب محض، ثم أن حسن - شا والي كركوك أرسلت له الدولة أيضاً أوامراً بأن يساعد عساكر عبد الله باشا، فحرد عساكره وتوجه إلى قريب بغداد لكن لما وقف على حقيقة الأمر وأن عجم محمد لا زال يغش الوزير،

والوزير في غفلاته، وأنه ليس منفصلاً عجم محمد استخلاص البصرة في أيدي الروافض تجيز بنفسه حسن باشا وجاهد في العجم بمفرده ومعه عساكره، وطلب الحدد من عبد الله باشا، فلم يمدده لما ألقاه عجم محمد من الدسيسة بينهما ومن العداوة التي هي من محض انتراآت عجم محمد

فلما لم يَر من الوزير الإمداد رجع عن الفئال لكونه مأموراً من الدولة العلية باتباع إيراد الوزير عبد الله باشا ولما أبت حبر فتح البصرة عن السلطان ظن أن عبد الله باشا إما حُبَّ وإما حان ولام على من مدحه حتى ولأه وزارة بغداد، وهر سليم باشا، ودام معاقته، فتحش سليم باشا وقال للسلطان إن أرسلتني إلى العراق فما أرجع إلا بعنتائج النصر، إلا أن يحول الموت بيني وبينها، فتوجه ووصل إلى بغداد، وقرح الناس به فرحاً جثاً، وظنوا فيه الخير فما شعروا إلا وعجم محمد التفت به التائب النير - سعل، ونسب أنه أتى من عجم محمد، وأمكنك الجميع على ارتقى والحمرة [والنسر] والنحور، والمراطة، وترك الجهاد، فحيث حرم أهل العراق بأن النصر لا تشح إلى يوم القيامة، ما دام رجال الدولة بهذه الأحوال، فسارت عجم محمد شباوة عبد الله باشا، وبلادة سليم باشا، طمعت نفسه لوزارة بغداد، بمساعدة عجم - حنا، فأرسل كريم حسن ووجه على هذا الأمر فوجدت حيث عساكر العجم حلة بغداد، وكل هذا ولم يفتيه الممثل سليم باشا، ولا الأتة - ضد الله باشا، مقاصد هذا العدار الخشن عجم محمد، ولا رالا يثيرون منه الصداقة التامة لهما، لكن بعدما بلغ السبب الذي نته سليم باشا لخصه هذا التفت عجم محمد. وفكر في الخلاص ولا ت حين مناص، فأرسل بعض العساكر إلى الحدود لصد جيش العجم وأحذر من طرفه محمد بن عبد الله بن شاوي الحميري ليكون سفيراً بينه وبين كريم خان، فسافر محمد بن شاوي ليقتد الصلح في شيراز بين الباشا وبين العجم

فلما وصل إلى شيراز تذاكر مع كريم خان الزندوي في جملة مسائل،
 منها درّ البصرة وفك أسراها وأعيانها وحذّره من عاقبة بطش الدولة العثمانية
 وأن لينا عتاباً أليماً إذا التفتت إلى عقاب بعض الجهات، فلم يلتفت العجمي
 لقوله، ولا أجابه لسؤاله فرجع ابن شاوي إلى بغداد خائباً، فلما قرب من
 بغداد بدعه خبر وفاة عبد الله باشا سنة، فدخل بغداد والفتنة مضطربة بين أهل
 الحية الشرقية وأهل الجبهة الغربية، وكادت البلدة تخرب من كثرة الصرب
 والقتل، وذلك أن عجم محمد مدّ للوزارة عنقه وساعده سليم باشا وقام من
 احباب الغربي حسن باشا طالباً للوزارة ومعه عسكره وأعوانه.

فما رأى محمد بن شاوي شدة الفتنة تحضب الفشتين ولم يرز رسالة
 عند الله باشا لأحمد بل أنفأها بختيناً فذلك رصي به الشريشان أن يكون
 حكماً بينهما فقتضى رأيه أن يرسل إسماعيل بك ليعقد الصلح بين عجم
 محمد وبين حسن باشا ويحفل بينهما هدية إلى أن يأتي أمر الدولة العلية
 بحري النعم، فامر إسماعيل بك إلى حسن باشا وإلى كركوك وأحره
 ما انتق عليه رأي محمد بن شاوي وغيره من أعيان بغداد فرصي بذلك
 حسن باشا، ولكن عجم محمد مكث له في حله من الغش فحينئذ سعى
 محمد بن شاوي حتى حرك أهل نجد على أن يدخلوا بينهما بأن الذي لم
 يرص [٦] بالبندة فيكون أهل نجد عنه فسكت الفتنة فبعد مدة شهرين
 جاء أمر السلطنة بتولية حسن باشا وزارة بغداد وبالمحاسبة عجم محمد
 فيما أكله أول [...] (١) وفيما تسبب به من إهلاك أموال الدولة والرعية

فحينئذ استتر عجم محمد وحول أخيه، فمدح مع محمد بن شاوي

أن عجم محمد يريد الهرب والنجاة أرسل من طرفه عسكرياً للمحافظة عليه،
فتكفله أهل الميدان لكونه من أهل حارتهم وحرصوه بحرس من طرفيهم إلى أن
يحصر الوزير الجديد حسن باشا والي كركوك فلما وصل الوزير حسن باشا إلى
بغداد فبعد يومين انتهت عجم محمد وهرب وانتق مع محمد بن خليل رئيس
اللاوية، وحدد معه المعاهدة على العصيان وتخريب القرى والسدان

وأما عجم محمد فقد حاصر بالسحابة وسمى نفسه محمد باشا،
وكذلك سمي نفسه محمد باشا بن خليل، وشؤوا اعارات وقطعوا السبل،
وأوقدوا نيران الفتنة، فلما رأى حسن باشا الوزير أن نيران الفتنة تريد يوماً
بيوماً أن أرسل محمد بن شاوي إلى أحمد باشا الكردي يستحده، فحزب
أحمد باشا عساكره ونزح إلى بغداد إلى أن استبينة احترامته في الطريق،
لكن في تلك المدة انخزل بعض اللاوية عن الانضمام إلى العصاة ورجعوا
إلى الوزير فعفى عنهم وأكرمهم وصاروا من حزبه، وولى عليهم خالده باشا
ووصيه بالمان، وأرسلهم إلى الحلة حداً، ومع أن الوزير أكرمهم وعفى
عنهم إلا أنه لا يأمن برأيتهم في الباطن، وهذا يكون الجاذم.

ولما زادت الفتنة وكثر تخريب القرى من عجم محمد أرسل الوزير
محمد بن شاوي إلى آل عبيد الحميري ليعيدوه دامتشر أموره وأخذوه بحبيهم
ورحبهم، وله بلغ الوزير إقبالهم وقربهم من بغداد أخرج كنهده عثمان بيك
إلى معاونتهم، فلما شعر محمد بن خليل بخروج الكتخدا أسرع وفصل بينه
وبين آل حمير، وانتشر الحرب بين الكتخدا عثمان بيك وبين محمد بن
خليل، وخان بعض رجال الكتخدا، ودنا من خليل ومع ذلك دلت العشرة
لكتخدا عثمان بيك، ورجع إلى بغداد قبل انخروب، ولم يجتمع معرب حمير،
ثم إن الوزير أرسل يطلب المعاونة من محمود باشا الكردي أخي محمد باشا

المتوفى، فأُخذ محمد باشا بخیله ورجله، فحُبِثَتْ ثَقُوت شوكة الباشا فخرج
 من وعسكره ومحمد بن شاوي وعربه [٧]، آل عبيد الحميري، ومحمود باشا
 وأكراده لمقاتلة الشقي الطاغي عجم محمد ومن معه من العصاة، ففي أثناء
 ستر الباشا ومن معه التقى مع طليعة من العصاة، فشب القتال بينهم فانجزمت
 الطليعة، وقتل أكثرها، فلما سمع بذلك عجم محمد وابن خليل فرّوا هاربين
 بمن معيهما إلى النديج فقتلهم عسكر الباشا فبعد يومين وهم يتحدثون في
 أثرهم التقوا معهم ونشب القتال بينهم، وكانت الهزيمة على عجم محمد ومن
 معه، وقتل أكثرهم، وتشتوا شذر مذر، وأسر منهم ثلاثمائة.

هذ. وأما سليم باشا المستقدم ذكره في سحرل وفرّ من بغداد، ولما وصل
 ديار بكر بلغ السلطان ما فعله من المناسد، فأمر السلطان عبد الحميد
 بسبب أسواله وأعطاه إلى حسن باشا والي بغداد وحبيه في قلعة هالك إلى
 آخر عمره، وأمر أيضاً بسبب داره التي في إسلاصول وأخذها وأعطاه
 الشيخ الإسلام لكونيا من أحسن دور إسلاصول ثم بعد أيام جاء الحرس
 بقتل سليم باشا، وهكذا عفة أهل الحياة حصوف وقد حلّ عليه شؤم
 عجم محمد ومصاحبه وعذفة لساكراتي [...] (١) غليب.

وممن توفي في هذه السنة وهي سنة ثمان وتسعون ومائة وألف،
 العالم الحرير نية السلف صفة الله بن إبراهيم الحيدري الحسيني قرأ
 العلم في بلدته ماوران على والده، ثم دخل وأخذ عن العلامة زين الدين
 المنكوي، والإمام محمد بن شروين، والملا شيخ انكردي المدي في
 المدينة المنورة، والعلامة عبد الملك النجاشي في مكة، ونقل عنه علم
 الحديث، وهو عن الشيخ أحمد بن حجر المكي، ولما تم جميع العلوم

(١) كلمة غير مشهورة

في بلدته ماوراء نهر جديلة فاستوطن بغداد ونشر فيها علومه ، وألف حاشية
تفسير الفاتحة للبيضاوي ، ولقد أبدع وأجاد فيها ، كتب فيها من المباحث
والاختراعات ، وأما في الشعر والنثر فله اليد الطولى ، ثم إن البغاة بعد الهزيمة
صمموا على العود إلى القتال ، وكان ابن خليل وعجم محمد في لورستان عند
الوالي زكي خان ، الذي آلت إليه مملكة العجم بعد كريم خان سنة .

وقد كان كريم خان أرسل أخاه صادق خان لحنطة البصرة ، فلما
وصل إليها جاءه خبر وفاة أخيه كريم خان في شيراز وتولية زكي خان بدله ،
فوقع صادق خان في حيرة خوفاً من وزير بغداد ، وخوفاً من زكي خان [٨] ،
لأن الأمراء والملوك كانوا زمن التتار والتوحش إذا مات أو شغل أحدهم
وتولى بدله غيره ، أول ما يسمي الحديد في إهلاك من كان ينتسب إلى سلفه .

على ذلك خرج صادق خان من البصرة بعساكره قصد شيراز
ليملك ويصون دمه ، فلما بلغ الرير خرج عسكر العجم من البصرة
حالاً أرسل إليها نعيم بك مسلماً عليها ، فصار من بغداد ودخل البصرة
بلا حرب ولا ضرب وتسلمها وخذ فيها أوامره ، وطبها من ارفض
وأمنه . ولما مات كريم خان وتولى زكي خان بعده أضيق سليمان بك
وأمرئ البصرة ، ولما مات الأمر عنه أرسله والي البصرة ، فخرج من
شيراز ، ولما وصل إلى الحويزة ، راسل أهل البصرة في أن يكون والياً
عليهم فوافوه ، ولكن أبى ذلك نعيم بك المسلم وثامر شيخ المثنى
فبقي في الحويزة منتظراً للتفرغ لأنه كان لا يحب أن يلبث إلا قليلاً
حتى جاء التفرغ بموت ثامر أعرجي^(١) عرب المخزاعل ، فأصيب برمح قتله ،
فحينئذ أرسل سليمان بك إلى حسن باشا والي بغداد يطلب منه ولاية
البصرة ، وأنه هو الذي كابد فيها المشاق زمن الحصار ، وكان سليمان بك

من الدهاء على جانب عظيم، ولما لسليمان بيك من المآثر الحليلة في
البصرة طلبه ثويني بن عبد الله إلى الدخول في البصرة، فما لبث بنا إلا
قليلاً حتى جاء البشير بفرمان الدولة بأنه والينا والمتصرف فيها بلا منازع
لأنه كان كاتب الدولة في هذا الشأن قبلاً بعير علم حسن باشا.

ثم إن أهل بغداد تقموا على وزيرهم حسن باشا لعدم أهليته للولاية،
وأحرقوه من بلدهم مطرودة لما ترتب على وجوده من كثرة طغيان
المسليدين حول بغداد، وهم محمد خليل، وعجم محمد، فلما خرج
ووصل إلى نبار بكر أصابه مرض وتوفي هناك، فمدة ولايته على بغداد
سعة عشر شهراً لا غير، فلما أحرقوه من بغداد طلت شاعرة دلا والي،
إسحاق أعيان بغداد أن ولّوا عليهم إسماعيل بيك بطبعون أمره وسبه إلى
أن يحصر من الدولة أمر، فيكون العمل على مقتضاه، فلما ورد الخبر
برفاة حسن باشا، أرسلت الدولة برماناً إلى سليمان بيك والي البصرة أن
يكون والي بغداد والبصرة وشبرزور في يوم ١٥ شوال سنة ١١٩٣ هـ ثلاث
رسمين ومائة وثلاث، وأرسلوا أمر آخر إلى سليمان باشا أن أمير باشا
مصر صبي أن يكون قائماً على بغداد إلى أن يرد سليمان باشا [٩٦] والي
البصرة إلى بغداد ويشتبك، فصار من البصرة سليمان باشا قائماً وحل
وذاينه بغداد، وعلمته هي سيرة خدمة له ثويني بن عبد الله، وحصة من
أعيان البصرة، وأعيان الرير، ولما وصل إلى العرجا من أرض المتفق
نفيه انكسدا إسماعيل بيك لأجل التهمة فما كان من الباشا إلا أنه أمر
عرب عنه لأمر كان يتمها عليه رتبة نظامه بالحليلة، ونصب على
البصرة رجلاً اسمه سليمان وأحمد صاحب ميرة أحمد الزكي، ثم سافر،
سما وصل كربلاء استأذن منه ثويني في الرجوع إلى وطنه فأتى له. وبعد
وصل الحنة لاقاه سليمان بن عبد الله بن شادي أمير حمير ومكره الشاوي بخله

ولما وصل المسعودي قابله وكيله سليمان باشا ابن أمين باشا الموصلية الذي سبق أن السلطان جعله قائماً مقامه ومعه كبار بغداد وعلمائها، فعزل نعمان أفندي عن الكتخداية وولى بدله عبد الله أفندي لأمر سياسي، وأذن لسليمان باشا الموصلية في أن يرجع إلى بلده الموصل، فبعد يومين ركب وتركه إلى بلده مكرماً مبعجلاً، وبعد ليلة قدم محمد بن خليل للإفساد والتخريب في قرية بغداد كعادته، فحرق لسحاربه عثمان بيك ابن أمير بابان، ومعه خمسة جبان فثبت بينهم قتال، فكانت الهزيمة على عسكر الطاغية ابن خليل فسلمت ونشترا، وقتل محمد بن خليل رئيس اللاونة وأراح الله العباد والبلاد من شره وأتى برأسه إلى الزبير فكرم الزبير عثمان بيك ما يليق لأمانته. فحسبنا أننا التفت لسليمان باشا لعدم انزعاض ودات له العراق محاصره فكان دحرله بغداد في ربيع الأول سنة ١١٩٤ هـ أربع وتسعين ومائة وألف سنة. لا قبل أنى من ودنى وحرق عليه محمد بن حمزة أمير خراقة فأسره بربير وهدده ويصحه، فلم يزد إلا ضياعاً، فعراه الزبير بحكوه في بلدة الحسكة. وشره الله وولى بدله محمد بن محمد علي، إمارة خراقة.

لما وصل الله عرسى اشترى من قبل الخديوية حلف من صفوته قتل خراقة وأغرقوا الأراغبي بالمياه فذكروا لأهوار ليم معتذراً وحصل فاهته الزبير سنة مائة ثلاث [١٠] المياه فذهب وداشر اشعل في بعض الأحيان سنة فلما تم سدّها في شبرين خوف منه جميع قتل خراقة قدم حمود وأرسل أساءه وأخبره يشعن له عند الباشا فتسليم وعنى عنه لداجر باشا عليه من حب العرس، ثم لداغنى عنه رده إلى الشيخة كما كان. واستمر في هذه الحروب كما بدأ وهذه الغزوة كانت في سنة ١١٩٥ هـ خمسين وتسعين ومائة وألف. وهي السنة ثمانية من ولادة المترجم، وبعد ما تم غزاه رجع إلى بغداد.

وفي سنة ١١٩٦هـ السادسة والتسعين ومائة وألف: عرض للوزير ما كثر خاطره، وهو أن أمير بابان عثمان بك عصا على الباشا فلزم الحال لغزوه.

فإنما هو مصمم على الغزو إذ ورد عليه من ديار بكر ابن وائل عثمان بك كتحدا حسن باشا فأعطاء قصبة البدنيح ليستغلها ويعدما أقام فيها مدة استغلها ورجع يطلب غيرها فولاه الوزير مستلمية كركوك، فما زال من دخل كركوك يرأسه عثمان بك متصرف سنحاج ويحثه على العصيان والحروب على الشاشا ولا زال يوسوس ذلك الإبلير حتى أغواء، واجتمع بعثمان بك في سنحاج وأطهر العصيان وكفران النعمة ضمه أنه بالعصيان يال معيه الأول ثم انضم إليهما محمود باشا والي بابان، وأظير الجميع العصيان، فاعتزل الوزير للخروج إليهم ومحاربتهم، فخرج قاصدا محاربة الأكراد، ووصل كركوك ومعه أسكر، فكنت من الأكراد من يتسلح لولاية بابان وعزل واليها وسار قاصدا محاربتهم، فب وتسل لمحاداتهم ورد عليه حسن بن خالد بن سليمان بن معه من قومه ونكرمه الشاشا وأحسن قراه وعزل عمه محمود باشا عن ولاية بابان، وألى بدله حسن بن خالد عليهما فلما سمع محمود بعزله تقدم على ما فرط منه، ثم إن الباشا أيضا ولى محمود بن نمر على كوي سنجاع واده حرير قدم محمود باشا وتواقع على الشاشا بكل أعيان الأكراد وبجملته من العلماء أن يرد عليه مرتبته، فقبله الوزير بشرط إرسال بعض ولده رجا، وإيعاد انكتخدا عثمان عن تلك الديار وأداء ما عليه من الخراج، وأن لا يعود إلى العصيان والخروج أبدا، وأخذ منه عهدا على ذلك، فرد عليه بابان إلا كوي وحرد، والذي كان الوساطة بين

الوزير، وبين محمود باشا هو الشيخ سليمان [١١] بن عبد الله بن شاي.

ثم إن محمود باشا وفى بما التزمه وأعد الكتخدا عثمان عنه، وبعث إليه سليمان رهًا مع إحدى نساؤه، فلما رجع الوزير إلى بغداد نقض محمود باشا العهد ولم يبق بالخراج وأرمع على حرب الوزير، وحارب سنحاع وحاصر ابن نمر أديرها، فلما بلغ ذلك الخبير الوزير أرسل مددًا من طرفه وعسكرًا لابن نمر وأصبح في العسكر خالد بك ومصطفى بك، فلما وصلوا كركوك حارب متصرف بابان منهم وتقدم على ما فعل وطلب الأمان والعفو من الباشا، وأن يمنحه الباشا من مكارمه لواء كور وحرير فأجاب الوزير وعفى عنه، ولكن اشترط عليه أن يعطي اللوائين إبراهيم بن أحمد باشا لاسه عثمان بك وامثل الأمر بحيث يذبح حرح بن نمر ورجع إلى بغداد.

وفي السنة السابعة والتسعين ومائة وألف عاد متصرف بابان على ما حصل عليه من الخروج والعتبان وما عثره إلا حطم الباشا عليه فغضب الوزير غضبًا شديدًا وعزم على إعدام هذا الرجل وتحريب بيته، فسافر الباشا بالعساكر إلى أنزل كركوك، وكتب أمير كوي وحرير ولله حلعة بدر، ثم سافر الوزير قاصدًا دك الساعي في الدردند، فلما انتهى العسكران ونشب الحرب بينهما كانت البريعة على عسكر الساعي وأكثر من حمله عساكره، ففر إلى المعجم فرجع الوزير إلى بغداد ومعه إبراهيم باشا والي بابان.

وفي السنة الحادية عشر من مئة الألف وهي سنة ١١٩٨ هـ الثامنة والتسعون ومائة وألف: قتل محمود باشا لما حارب أمراء المعجم

① الخزينة

فشر منهم عثمان باشا وانهزم ورجع إلى والي بغداد وطلب منه العفو
 فمنحه إياه وأقطعته بعض قرى ليستغ بئها بقرب بغداد، وفي تلك السنة
 ارتكب العصيان والخروج محسن الخزاعي، فألذره الوزير فلم ينفعه
 لئذ، فحاربه الوزير، واشتبك العسكران فكانت الهزيمة على محسن
 ورابعه، وتشتوا شذر مذر، ونبت أمراليم وانتبكت حرمانهم فحينئذ
 لبى الوزير حمد بن حمود خلعة إمارة الشامية علاوة على مشيخة
 الحزيرة، ورجع الوزير إلى بغداد محل عزه وحلافته.

وأما السنة الثانية عشر لولادة المترجم، وهي السنة ١١٩٩هـ
 (الثلاثة والتسون ومائة وألف): وفيها ورد بغداد المشير داود باشا
 [١٢] بعد أن تربى في بلدة إحدى عشرة سنة، وفيها عصى وخرج على
 الوزير حمد بن حمود الخزاعي، وما عره إلا حاكم الوزير وإكرامه له،
 كثر نعمتين وسبي النساء الريستين، فجرد عليه الباشا العساكر ووصله
 إلى أرض الخراش فتحصن حمد بن حمود بالمياه كما هي عادة عرب تلك
 البلاد لاحتواها من حمل وتلاخ، فما شعر عسكر الوزير إلا والمياه
 سالت عبيهم أيضاً. وحدث أن حمد بن حمود كثر غنيم الحدود وهم
 لا يشعرون، فكانت الباشا تسرع لمساكره، لكن نبيهة هذا الوزير استدرك
 الأمر وفضل العساكر إلى أماكن عالية لتسلم من المياه، ثم سافر الوزير
 وقصد الحكة يتحصن فيها بالمساكر، وتبر أمره في سد منع هذه المياه
 عن غرات، فمضى هذا محكماً فيما هو عزم على محاربة الأشقياء إلا
 وبلغه أن عجم محمد حء، وأصح إليه عسكر حمد بن حمود ومن معه،
 تتوش حضر الوزير نساك، ولكن وصول هذا الخبر إليه، كان حمد بن
 حمود أرسل إلى الوزير يطلب الصالح، وكان الوزير ممتنعاً، فلما بلغه

وصول عجم محمد رضي بالصلح وأبنتى حمد بن حمود على إمارته،
ورجع إلى بغداد.

وفي سنة ١٢٠٠هـ (مائتين بعد الألف): خرج من بغداد سليمان بن
عبد الله بن شادي قارًا من الزرير لأن بعض الناس حسدوه وملؤوا صدر
الوزير عليه، فاعتري أس شادي الأوهام خوفًا من الوزير، فأراد حثاه
بإبعاده عن قرب الزرير، إذ لو لم يبعده ما سادوا هذا

ومن الأسباب المؤدية إلى خروج ذلك الأمير ومنازقته، منادمة
الوزير أنه تخاضع مع السيردار لأنه يعرف المبردار صغيرًا. وقد تبين من
عرك صغيرًا ما وفرك كبيرًا، مع أنه كان ينبغي له أن يراعيه ويذاهبه مراعاة
لولي نعمته الزرير، ولكن إذ جاء القدر غنى البصر فما أحرجه إلى
الحروح، واشتد بعد الترب والمقيم، وهي يتصور أن هذا الأمير الحميري
يقيم نفسه بسنة العادة، هذا ومن غنى شادي صار يرتكب الماوى
مغضب، وأرسل عليه إبراهيم باشا وأحمد بك المبردار ومعه
عسكر الأكراد، فلما علم أس شادي شرب العسكر، مثل إلى تكريت، فلم
يقل ببا السقام من الحرف، فتر إلى الحزير، وترك أماله [١٣] غيمة
للعسكر، فرجع العسكر إلى بغداد فلمودة الباشا لأحمد بك المبردار
جعله كمنخذه لكياسته ودهائه.

وفي ذلك العام وقع الفتح الشديد الذي أكلت الناس فيه الكلاب
والحوتى والحدود، وأكثر منهم وأرادوا حلق الزرير، وظنوا أن هذا الفتح
من شؤمه مع أنه من عند الله لعدم الأمطار، ورفضوا علم الشيخ عبد الله
النجلي^(١)، وساحروا في الأسراق وحركوا العامة والأوباش والنوعاء لحلق

الباشا، فلما سمع الباشا بهذه الحركة أرسل عليهم بعض عساكره، فقتلوا بعض المشددين، ونفوا البعض، فصلح الباقي وخمدت الفتنة.

وفي سنة ١٢٠١هـ (أحدي ومائتين وألف): ورد سليمان بن شايي من الحاور ومعه جنود وأوباش متجمعة فقصده بذلك التخريب والإفساد، فخرج إليه الوزير بعساكره وجوده، والتقى الجمعان في الفلوجة، واشتبك قتال بين المريثين، وتطاخت التراب وحمل الوطيس، فكانت الهزيمة على عسكر الباشا ولي بغداد، وأسر من جماعته خالد بك كتحده البرابن، ومحمود باشا ابن نمر باشا. فأما محمود باشا فرد عليه سلبه ابن شايي وأخذ له في الانتصاف. وأما خالد باشا فأسره معه مثيداً، وبعد ذلك طمعت نفس ابن شايي إلى أن غزا على نفس بغداد حتى وصل إلى الكوفة ولولا عرب عتيل لأخذ سليمان باشا أسيراً، ولكن عتيل أبدوا في ذلك اليوم من لباثة والشجاعة ما يبتغي بهم، وحاموا عن بغداد محامدة لأسد عن ربيته فشكرهم الباشا على ذلك.

وتم ابن شايي عر حارباً وانتشت من جماعته العصي وندم على ما قدم، وطلب الأمان من الباشا فمحه إياه، لكنه لم يرجع عن غيّه بل عاد إلى سادة لجميع الأعرب والمطفيان والفساد، فتوجه إلى الدجيل، ثم إلى الشامية، ثم إلى الأنبرة. فلما لم يحده شيئاً قصد المستنق وفتحاً به إلى ثوبين بن عبد الله فاعده وأعاه وانضم إليه حمد بن حمود الخراعي بقبيله فأناخ الجميع على البصرة وملكوها ونهبوها ونسوا أهب وأنسروا منسحب إبراهيم أمدي ثم نمره إلى مستنق، وكان هذا المتسلم أفق من على وجه الأرض في شرهه على الربا والنواط والشكر، [١٤] وكان يضي جميع أوقاته في رقص الأولاد والنساء والكر والغناء، فأراه الله

عاقبة أفعاله، فلما بلغ الوزير أخذ البصرة وهتكها وأسر المعتسلم ومنع
ثريني من الخراج، بل حتى أن ثويناً راسل الدولة وطلب منهم أن يجعلوه
وزير بغداد أصالة فحيثئذ اغتاط الباشا وأرسل إلى متصرف بايان وكوى
وحرير ومن الأكراد إبراهيم باشا والي متصرف باحلان عبد الفتاح أفندي،
على أن يمدّوه بجميع ما يمكنهم من العساكر الأكراد، إلا أنه لما أبطؤوا
عليه عزل إبراهيم باشا ونصب مكانه عثمان باشا بن محمود باشا، ومكان
الآخر عبد القادر أفندي، فأمداه بالفي خيال من شجعان الأكراد، فلما
نمت قوته شرع أولاً في الغزو على خراة؛ لأن جمود بن ثامر بن سعدون
خضع لبطانة الباشا، وجاء بتيكته مدداً، فلما بلغ الوزير في أرض خراة
أصحابه معه. وقتلوا خراة، وروهم بالبنادق، وفرقوا شملهم، وهرب
عند ذلك حمد إلى المنتفق ثم توجه الباشا إلى المنتفق، وأقام ثلاثة أيام
في أم العباس، وذلك في عرة محرم سنة ١٢٠٢ هـ (أربعين ومائتين وألف)،
فخرج ثويني بن عبد الله بعسكره صغراً صغراً ومعه الأطواب والخيل
العراب، شب الحرب واشتد وحمي الوطيس، فكانت البريمة على
عسكر المنتفق وولوا الفرار والباشا يتبعهم أسراً وقتلاً، حتى أنه بنى من
رؤوس المنتفق ثلاث مسار، فلما صنى له الوقت ولّى على المنتفق
جمود بن دمر، وعلى البصرة مصطفى آغا الكردي وكان خازن داره، وبعد
ذلك رجع الباشا إلى بغداد بعدما أربى الأرض بخيله ورجله، وجعل في
البصرة جملة من شكركه نعى اللاونة، ورئيسهم إسماعيل آغا تقوية
لمعتسلم البصرة، وتأيت للسبل، وكان خروجه من بغداد الثاني عشر من
شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠١ هـ ورجوعه فيها مصوراً ثمانية في ربيع
الأول سنة ١٢٠٢ هـ (أربعين ومائتين وألف).

وفي سنة ١٢٠٣هـ (ثلاث ومائتين وألف): طلب سليمان بن شادي
الغزو من الباشا، فعفى عنه ورد عليه أملاكه وأمواله بشرطين:

١ - لا يدخل بغداد أبدًا،

٢ - وأن لا يعود إلى الفساد لا ظاهرًا ولا باطنًا.

وفي ذلك العام عصى متسلم البصرة مصطفى [١٥] آغا الكردي،
ودلت لما يسه وبين الكتخدا من الصعائن، فأخذ مصطفى آغا الكردي
يستميل عثمان باشا والآونة بالأطعام. وكتب لثويني من عبد الله ليساعده
في هذه الأمانة، فلما قرب من أرض المنتفق أرسل للباشا بأن حمودًا لم
يلق لتشيخة بل الأولى بها ثويني فأجابه الوزير وأرسل له حلقة المشيخة
إلى ثويني، وكل هذه مآيرة من الباشا لـ مصطفى آغا، وتجاهل الباشا بأنه
ما علم بأن مصطفى آغا خرج عن الطاعة، ولكن الباشا في هذه المدة
محتشد في حلب العسكرة، وثقت عنه العسكرة الشجعان، هذا مصطفى
آغا لكردي يحد ويحتشد في إثارة السنة تارة يكتب عثمان باشا، وتارة
يكتب أمير الآونة الكردي نسي في أربكان ويحريهم على مساعدته،
ووزير عالم بذلك لكنه يتغافل ويغير الوجه لـ مصطفى آغا الكردي فكتب
باشا إلى كبير مراكب البصرة مصطفى بن حجابي بأنه إن تمكن من قتل
مصطفى آغا الكردي ولا يتوقف، فلما تدرى كيف شعر مصطفى آغا الكردي
بهذا الخبر فتحدث بل جمع جماعة حفية، وهاجم على مصطفى آغا
حجابي وقطع رأسه.

فحينما قتل مصطفى بن حجابي جاهر بالعصيان، وأحد في
التخريب والإفساد ظاهرًا، وعندما عزم الوزير على غروه ورد كتاب من

سليمان بن شاوي إلى الوزير يشكره فيه على العفو والمسامحة فيما فرط منه، ويترجى الباشا في أن يرسل إلى ابن شاوي رجلاً عاقلاً مؤتمناً من خاصته ليودعه سرّاً يؤديه إلى الباشا، فأرسل إليه سليمان آغا معتمد كتخدا لنظنته وأمانته، فلما وصل الرسول إلى سليمان بن شاوي الحميري أخبره أن عثمان باشا مشتق مع مصطفى آغا الكردي سرّاً وأراه كتاب عثمان باش إليه يعرّفه على أن يكون شلي ما كان عليه من مساعدة المتسلم على أن يكون واني العراق فرجع الرسول إلى الباشا بكتاب سليمان الذي وصله من عثمان باش، فلما رآه الوزير أحرر أنشأ ليدبر أمره فأضرب لعثمان باشا المودة الكاملة، وراسله وهاداه ومناه بأسواعيد فاغتر بمودة الباشا، فأرسل إليه الوزير كتخداه أحمد [١٦] أنفدي ليطئه إلى بغداد، فلما وصل بغداد أخذ الوزير بلاطه، ويطلب له الحمة حتى إنه زوجه أخت الكنجد أحمد أنفدي وترجّاه وطلب منه المناد ليعينه بجملة من عساكره وأذن له في الرجوع إلى وطنه، فلما رآه وهو مضطرب منه من جنة الباشا وما درى أن لحب له تقاتل والحكر عليه يدبر، فلما رجع إلى وطنه اجتمع عرق معاهدين منهم وحينئذ شرا الوزير المتسلم مصطفى آغا الكردي قدمه رجع العرجاء داخل اربع ثوبين وقدمته وانتمسه مصطفى آغا

دما ثوبين ياره فر إلى الرازي وانقار، وأما الخشم فبرب إلى تكريت فجاء الباشا إلى أن وصل إلى البصرة وملكها وأقام بها متسلطاً، فأمر عيسى السارديني، وأقام شيخاً على المشتق حمود بن شمر، فرجع الباشا إلى بغداد، ودخلها مسلحاً ومسان. فلما استقر بها طلب عثمان باشا فثاء وهو آمن، فلما أدخله الخزائن أراه خطه إلى سليمان بن شاوي، فلما رأى خطه بينه ادهل وعرق في عرق الحجل، فأعطاه الباشا السهم، فلم

زاد مرضه أخرج إلى دار سعيد بك الدفتردار، فتيباً توفي ومشى في جنازته جميع الكبار حتى الكنخدا، وولي الباشا بدله إبراهيم باشا على بابان ومحمود باشا ابن... باشا على كوى وحرير وهكذا عاقبة الخيانة والندر على أولياء النعم.

وفي هذه السنة ورد خبر وفاة السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان، وكان شوقاً على رعيته كريماً محباً للعلماء، حتى إن النساء والطلبة زادوا في زمانه أكثر من جميع الأزمان، إلا أنه كان كعادة أسلافه غليظ الحجاب، فصارت أخبار ممالكه لا تصل إليه كما هي عليه في التواقع وسن الأمر. وبعد لما أخذ العجم البصرة حلت مدة رحله لا يعلمونه بذلك بل يسمعون عليه، وبكثرة الحجاب وعظ الحجاب تحرب أكثر المسالك وتجرم الدول وتروى، كما تحققت ذلك في أخبار الدولة السابقة تلك تحد المتاح الأول مبين ليس له حجاب ولا زال حنقه يفتنون الحجاب إلى أن يصير لملك في آخر الأمر كطير في قفس محجوراً عليه، وشبه تشبه الدولة إلى ورثته كما رأينا ذلك في آخر^(١) [١٧]

وكوى وحرير، فعاد إلى مقره وحكمه، وقبل وصوله إلى محله أرسل أخاه سليمان من قبله، فمنه سمع إبراهيم باشا بذلك أرسل أخاه عبد العزيز ليمنع سليمان من الدخول إلى أن يوصل أهله إلى ما مقيم، وما أحسن في هذه الحركة، فإن عبد العزيز وسليمان اتفيا على غير ميعاد وكل منهما طائش الغفل، فوفقت بينهما مقتلة خرج فيها عبد العزيز

(١) نقص صفحة كاملة في الأصل.

وأُسر، ولما سمع إبراهيم باشا فر إلى بلاد المعجم وأرسل أخوه عبد العزيز
مكتباً في السلاسل والأغلال إلى بغداد.

وفي السنة ١٢٠٥هـ (الخامسة بعد المائتين والألف): أطلق
عبد العزيز من أسره عندما أتت خطوط أخيه إلى الوزير بطيه العفر
والأمان، فكتب إليه الوزير جواباً وفيه العفو والأمان، وأرسل الحواب مع
محمد بن عبد الله بن شادي الحميري فقدم به بالأمان إلى دار السلام،
فأكرمه الوزير مهابدة ومنحه بعض ضياع ليتنعم بها.

وفي هذه السنة دخل ثريني بن عبد الله على الباشا وطُلب منه العفو
عما صدر منه من تخريب، فمحه إياه وماسحه وردّ عليه أملاكه، ولكن
بعد أيام ورد عهده محمد من بلاد المعجم ونزل على سليمان بن شادي،
فسمع به الشاه، فطلبه من ابن شادي، وأن يرسله مقيداً إلى بغداد، فاستنع
ابن شادي من التيسيم في ضيقه على عادة العرب، ففي الحال من التورير
المتخذ أن يغزو ابن شادي ويأتي ببها متيدين، فلما سمعوا بالعسكر فرّ
ابن شادي وعنه محمد، فلا راد الاكتخدا أحمد يقصر أثرهما ولما
يتخبط بين جميع ما كان في محليهما من المال والنعمة، ولم تثنِ تيمور
الحلي الكردي وعصى وراد طغيانه وتخريبه لتقري، أمر السلطان سليم
سليمان باشا والي بغداد لمحاربته فحيز جيشاً وقصد بلاد الأكراد، فلما
التقى الجيشان كانت الهزيمة على الحلي وعسكره.

ولما دخلت السنة ١٢٠٦هـ (السادسة بعد المائتين والألف): سار
عسكراً ورئيسهم لطف الله أنندي لمحاربة الباقي من عسكر تيمور الحلي،
ولما شب القتال بينهم كانت الهزيمة على عسكر الحلي أبشاً، وعنه

العسكر أموالهم، وقتل جملة عظيمة من [١٩] عسكر الملي وبعدهما رجع الوزير منصور ألبس أخا تيمور إبراهيم بيك مكانه وسافر الباشا إلى ماردين فسلم اثنين من أتباع تيمور أحدهما يقال له حسن، والآخر يقال له حسين، وقتل جماعة أخرى من اليزيدية، ثم رجع بغداد في السابع والعشرين من ربيع الأول، وكان خروجه في شوال

وفي سنة ١٢٠٨هـ (ثمان ومائتين وألف): غشى على الوزير محسن بن محمد، أمير حراة، ومنع الخراج فأرسل إليه الباشا عسكراً حراً ومنهم الكتخدا أحمد، فلما انتهى الجمعان أذعن محسن بن محمد للبيعة حراً من سنك النساء وأدى الخراج كاملاً وأدى رهنه على أنه بعد الآن ما يترك المصيان فأخذ الكتخدا منه الخراج ورجع إلى بغداد متخيراً، ولكن محسن بعد رجوع الكتخدا نقض العهد واعتدى وشرع في المعاملة لغيره الباشا بن شبيحة حراة وتقدم بدله محمد بن حمود.

وفي سنة ١٢٠٩هـ (تسعة مئة ومائتين وألف): قتل سليمان بن محمد بن شادي الحميري، فمكة الشبلة. واحمدي، فنه بن يوسف حربي وهو حمير بأمره بكرمه وشجده.

وفي سنة ١٢١٠هـ (ألف مئة ومائتين وألف): توجه الكتخدا أحمد عسكر حرار إلى أرض حراة لعدم حريتهم على الباعة عند أراج خدائهم رجع شيخنا وطلب الأمان والعمو وأدى الخراج ورجع الكتخدا إلى بغداد لكن بينه وبين علي بيك الحارندار صدام فقتله علي الحارندار. وأقامه كتخداه، وهذا دليل على أن الباشا رغبة في قتل الكتخدا أحمد حيث لم يعاقب قتله.

وفي السنة ١٢١١هـ: نصب الباشا شيخاً على المعتق ثويني بن
عبد الله وعزل حموداً، وفيها توفي شاه العجم محمد علي خان وتولى
مكانه فتح علي خان.

وفي السنة ١٢١٢هـ [٢٠] (الثني عشر بعد المائتين والألف). عرا
علي بك الكتخدا أحمد بن حمود، ثمذ أباخ ساحته ابنهم حمد بن
حمود، فولّى علي بك الكتخدا محسناً إلى آل قديم على الشامية.
ونصب سبتي بن محمد شيخ الحزيرة وألزمها بالتحراح فتعيدها به،
ورجع الكتخدا علي بك إلى بغداد، وفيها عزل الوزير سليمان باشا
عبد الرحمن باشا عن إمارة بابان ونصب مكانه ابن عمه إبراهيم بك
وآل علي باشا إلا كرى وحرير فما رأتا على حكم الأول، وفي
عبد الرحمن باشا في بغداد معادلاً بالإكرام والإعزاز، وفي
عزل علي بك الكتخدا آل سعيد من زيد نعمانييم وارتكبه المناد،
وفي مروره وصل إلى الحواز من ديار ربعة، فولّى عليهم شيخ
ورجع إلى بغداد معانم آل سعيد. وفي نزل ضييف ثويني بن عبد الله.
لمات عرباً شيداً، ومب موته أنه لما صعد ابن سعود الحارثي ومالك
الحسا واسترعبا من شيخ بني حاند طبع في غيرها من بلاد المسلمين
ليدفع أهلها كذب ذبح أهل الحسا، أمر الباشا والي بغداد ثويني بن
عبد الله أن يذهب لعرو هذا الطغوي بن سعود، فجمع جيوش ثويني
وسافر إلى نجد، فزحفها وأدخل الخوف في قلب جميع أعرابها، حتى
به دحل في ضخته، حيلة من قتال ابن سعود بدون حرب ولا ضرب
وعاهدته حراثيم قتال الحرب على مساعدته فما زال يسير بكتف
واسعود إلى أن برل على ما يسمى الشياخ، وحينما نزل نزلت له حيمته

هناك صغيرة فجاءه طفيص والناس في أشغال النزول فطعنه بحربة فقتله
فمكروا طفيصًا وقتلوه، ولكن لا يثار الأسد بالكلب وتشتت جيش المنتفق
وكرّوا راجعين إلى العراق وانفلت عنهم معاهدوهم.

فلما بلغ الناشا هذا الخبر تأسف وولى على المنتفق حمود حاكمًا
عليهم، وثويني هذا هو ابن عبد الله بن محمد بن مانع القرشي الهاشمي
العلوي النخعي تولى مشيخة المنتفق كما تولاهما أبوه وجدّه أجواد العرب
والمشاهير وشجعانها، وله أيام مشهورة بين العرب أبدى فيها من الشجاعة
ما فاق به عترة، فمينا يوم دُبي، وذلك [٢١] أن كعبًا غزوا أخاه صفراء
سحيش عرمرم، فلما لُتقى الجمعان، ونشب القتال بينهما تبين فيها ثويني،
وكانت هزيمة كعب به كما هو محقق عند سائر قائل العرب، وبه رأت
قبيلة كعب الرواحية، ومن أيام ثويني يوم ضحّة وسبه أن
عبد المحسن بن سرداح لما اشتاق إلى مشيخة بني خالد فرّ إلى ثويني
ليجده وباعده، وشيخ بني خالد إذ ذاك سعدون بن عريعر، فلما علم
ذلك جميع قبائله وصار يشن الغارات على ثويني وعمره، فصار بين
ثويني والشر، فتواعدوا على يوم معلوم فالتبا في أرض بني خالد، ونشب
بينهما قتال وسال الدم مثل الليل واستمر الحرب أيامًا فكانت البريمة
على قبائل سعدون، فهرب وتولى ثويني بيوته وأمواله، وأب سعدون فإنه
طار منزومًا إلى أن وصل إلى عبد العزيز بن سعود، فعاهده على نصرته،
فصار قدومه عند ابن سعود يوم عيد لأنه حينئذ يُقن أنه ميملك الأحياء
لما رجع ثويني لى داره أجمع عشائر بني خالد على أن يؤمروا عليهم
داحس بن عريعر.

① لغزاة

ومن أيام ثويني المشهورة يوم التتومة^(١) قرية من قرى القصيم، وذلك أنه لما انتصر على بني خالد تطاول وغرته نفسه أن يغزو نجداً بحذافيرها، حتى ابن سعود، فجهز جيشاً جراراً وقصد به نجداً فهابته جميع العرب ولم يقدر أحد على مبارزته حتى ابن سعود، فإنه جن واستكن في الدرعية، فلما أناخ ثويني في أرجاء نجد أول ما ابتدأ بحرب التتومة، وحاصرها إلى أن فتحها عوة ونهب أهلها وحتكها ثم قتل إلى العراق، فوصل البصرة، فأخذ العرور وحذته نفسه أن يملك العراق أجمع، فحاصر الصرة حتى ملكها، فكان هذا هو الباعث على إهلاكه، لأنه تحركت عليه الدولة العلية، وتنبئت له وأمرت والي بغداد أن يرالي عليه المشازات، فلا زال يغزوه إلى أن صار من أمره ما ذكرناه سابقاً من عزله، وتثبت حاله وتولية غيره، ثم الآن دعته ميته إلى أن يغزو نجداً، فعراها، فصار منته على يد طعيس (العبد الأسود) وبعده آلت إمارة المنتفق إلى حمود [٢٢] بن ثامر بن سعود بن محمد بن مانع الشيبني ابن أخي ثويني لأمه، وهو ابن عم له.

وحمود هذا من فرسان العرب ورحالاتها الموصوفين بالدهاء والأناءة، وكان موسوماً، حتى إنه قيل عنه أنه لا ينتقض وضوءه، ويتوضأ إلا في سبع ساعات، فكان كثيراً ما يصلي اليوم صلاة أمس، ومن مثالبه أنه كن لا يرضى إلا برأيه، ومنها أنه كان كاتبه رافضياً، فكان يضرب بأهل السنة ويتصدحهم بالمشرة عمداً، ومن رشا هذا الكاتب قصا شغله، وإلا

(١) لا محرم بي نتج التتومة إذ هي قرية لا تعد إلا استاء، فلما ضرب عن الإطاب أصو من وعدا ما رد وانتصر.

يعطل أشغال الناس ما أمكنه، ومنها رضاه بظلم قومه لرعيته، ومنها رضاه بكل مفسدة من كل باغ على ولاية الأمور، وعلى الدولة العثمانية، ومنها أنه لا يولي على كل قرية إلا أظلم أهلها وأفسدهم، ومنها أنه على غاية من الحقد، ومن محاسنه الشجاعة التي لا تكاد توجد في مخلوق في هذا العصر، وأُظن أن الله جمع فيه شجاعة ألف رجل، وله أيام مشبورة بين الحرب وبين فينا، منها يوم الرخيمة، وهو شاب في حياة والده وهو يوم السعدون ابن عرعر على ثامر ومنها يوم أبي حلافة، وهو يوم للمنتفق على محمد علي خان الزيدي كنا ذكرناه قلاً، ومنها يوم سنوان له على ثويني عنه ومصطفى آغا الكردي متسلم البصرة، ومن أيامه يوم علواء ماء قريب من البصرة، ومن محاسنه إطعام الطعام حتى أن بعض الضيوف يقيم عنده أعواماً، ولا يرى الخبث من خدمه ملاً ولا سامة على طوال المدة، ومما ذكاه الشرط وحفظه الجيد، ولما اتلاه الله بالعمى ازدادت أهبته واستبحت حكومتها من نهاية عشر إلى الثانية والأربعين.

في الخامس من عشر عزله الوزير المكرم المرحوم داود باشا،
وسبب عزله في محله

ومن وثائق السنة ثمانية عشر بعد السنتين والألف أن سعود بن العريير الحنديل غزا بني المنتفق، ففتح القرية المعروفة بأمر العباس، فقتل منها خلقاً كثيراً وجب وحرقت ثم كثر راحتها إلى الدرعية، وحمود إدارك كان في البادية، فلما سمع الخبر حذ في السير ليدركه فما أدركه، وفي رجوع ابن سعود أمدار على بادية العراق، وكان مطلق من محمد [٢٣] المجرب، نازلاً في بادية العراق، فلما سمع بحبس سعود فر من فر وثبت من ثبت، وقتل مطلق، وكان يكر على الفوارس كرير الأسد، فينما هو يعدو

١
 خلف ابن سعود إذ عثرت فرسه في غز فسط هو والفرس، فهجمت عليه ١
 الفرسان حتى قتلوه، وكان قتله عبد ابن سعود من أعظم الفتوحات.
 ومطلق هذا من كرام العرب عريق النجار شريف النسب، وقل هذه
 الواقعة صارت لمطلق مع ابن سعود واقعة أخرى قتل فيها ابنه ملط،
 بعد واقعة ملط توجه إلى الشام وصحب أحمد باشا الجزار إلى بيت
 حرام، ثم رجع إلى العراق عارثاً على أن لا يترك الحباد مع الودعية،
 لا زان. [١] العزو وانتشار إلى أن استشهد في هذه الواقعة.

وفي السنة ١٢١٣ هـ (الثلاثة عشر بشت الصائتين والألف): غزا علي
 بك الكنخد بأمر الوزير سليمان باشا وأبي بعدد الحب من البحرين بعدما
 تولاه عبد العزيز بن سعود ومنى فيه التلاع المحكمة، وسام ذهب
 الحنف وحرهم على اعتداته الماسدة، وغرام مع علي بك شيخ المستنق
 حمود بن فارس معدون وبادية العراق، وعسكر شبل وميرهم إذ ذلك
 ناصر بن محمد النشل، وعمر معهم فارس بن محمد الحرياء شيخ شمر
 ومعه قبائله، وأصحاب الوزير مع علي بك الكنخد محمد بن عبد الله بن
 شاري الحميري، وغزا معهم أيضاً أهل الربير الشربة المعروفة، وأهل محد
 ميرهم إبراهيم بن ثقف بن وضن، فدار العسكر إلى أن برلوا في مرور
 وحاصروا قلاع بن سعود، ولم يبق أحدًا من عسكر الكنخدا، ولا من
 العرب سوى عشر، فأطاع عبد الله بن نجد من غير قتال، وفي خلافت
 سر حمود علي (سبع) ٢، قتل منهم وعنه إبلاً وشاة ومعه في تلك
 المعركة فارس بن حرد و... أحمد بن بن قريس، ولما رجع حمود من تلك

(١) كلمة مير مسربة

(٢) سبع كلمة معروفة ترجع إلى مشر.

١٥
١٦
١٧
١٨
١٩

٢٠

الغزاة بالغنيمة علي الكتخدا تقوى ساعد الكتخدا واجتهد في الرمي على
 القلاع، ولكن الأطلوب لا تعمل في القلاع لصلابة طيتها، وهكذا غالب
 بلاد التصميم طيتها صلبة جدًا، والظاهر أن نصحاء الكتخدا حاسوه
 وأوهموه أوهامًا فاسدة، حتى إنه فر [٢٤] هاربًا راجعًا إلى العراق، وذلك
 لأن الناسا صرف أموالاً حمة على انعرصي، والكتخدا سلم أموره لبعض
 الخون فحانوه في الصرف وأكلوا أكثر الأموال، وصرفوا القليل، فلينذا
 عمدوه على الهرب لكي يتم مايعوهم، فلما أخذ في الفرار هو وعسكره
 وسائر أعرب العراق تبعه ابن سعود بعسكره ولحقه في محل يقال له ناح،
 ونزل ابن سعود في الحنا، فبما الترفيد يتحاربون، إذ لانت شكيمة
 رؤساء العساكر للصلح، وصاروا يكون لكتخدا وينبؤوه قوة ابن سعود،
 والحال أن الأمر على خلاف ذلك، إنما من أبطر الخيانة يتقن أن عساكر
 ابن سعود لا زاد معيهم، وأن مايسم ن يعربوا، فما أراد التشيلة على
 حذيقه وأن عنه في البطي، بل حسن لكتخدا، أن السطح أوفق و لكتخدا
 سلام عيه سلم أموره لأعدائه ودعوا لا يشعر، وقتل قس ذلك خالد بن ثامر
 آخر حصود، فمهم بإحد ثاره، ثم ورد كتاب على الكتخدا من سعود يقول
 فيه من سعود إني ابن عبد العزيز إني علي. . . أما بعد: فما عرفنا سبب
 محبتكم إلى الحسا، مع أن الحسا روافض، ونحن جعلهم بالسيف
 مسلمين، وهي قرية ليست بداحلة في حكمكم، وأدي يحصل من قليل
 مايسة إلى تعكم، ولو أن جميع أهل الحسا وما يليها يدفعون إليكم كل
 ما يملكونه من دراهم وغيرها لما يعادل مصاريفكم في هذه المدة فقط،
 وما كان بيننا وبينكم من المضاغنة إلا ثوبيني، وقد لقي جزاءه، فلأن
 مأمولنا المصالحة وهي خير لنا ونكم سيد لأحكام.

فلما اطلع الكنخدا على الكتاب ارتضى الصلح، فكتب جواباً لابن سعود: من علي باشا إلى سعود بن عبد العزيز أما بعد: فقد أتاني كتابكم، وكلما ذكرت من أمر المصالحة صار لديا معلوماً، لكن على شروط نذكرها لك، فإن قبلتها وعملت بها فحسن، وإلاّ فما نحن عاجزون عنك ولا عن طوائفك وعندك الصحيح إذا اشتدت الهيجا وانشقت العصا، فحسبك والشحالك سيف ميتد حيث لنا مئدار أربعة أشهر في بلادك، نحرب الملا وتآثر أهل الثرى، وأنت ما قدرت تطير من مكائك غير هذه الدفعة، وبهذه الدفعة أيضاً اغتررت بقرل عفيصان، فأما [٢٥] الشرط الأول: فبأن لا تقرب الحساب بعد الآن، والشرط الثاني: أن ترجع الأتارب التي أخذتها من ثريسي، والشرط الثالث: أن تعطينا جميع ما صرفناه في هذه السيرة، والشرط الرابع: أن لا تتعرض للحجاج الذين يأتون إليك من طرف العراق، ولا لأبناء السبيل، وأن تكف عزوك عن العراق، وتكون معنا كالأول.

بسمه الشروط التي أخبرناك ببناء والسلام على من اتبع الهدى. كتب به ابن سعود من نفسه جاء كتابكم وربما معاده، فزولاً الحاق قرية حارحة عن حكم الروم وما شاري^١ انتعب وما ميباشي يرحب الشناق. وأن الأتارب فبني عد والدي في الدرعية إذا وصلت إليه أعرض الحان بين يديه، والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب إليه، فإن صحت المصالحة تصلكم الأتارب، وأنا كفيل على ذلك حتى أوصلها البصرة. وأن مصاريبكم فباني لم أملك من هذا الأمر شيئاً والأمر فيه لوالدي إذا وصلت إليه.

وأما ما ذكرتم من أمر الطريق وعدم التعرض للحجاج فحباً وكرامة.

وعليّ عهد الله وميثاقه أن لا يفقد لكم بعير، وأن لا يسدى منا ضرر على
 المارين، ومالهيم عدنا غير الكرامة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
 واعلم أن علي باشا اتخذنا إنما صالح سعود لما داخله من الخوف من
 استشارته بعض أعدائه في الباطن، وأصدقائه في الظاهر مثل إبراهيم بن
 ثابت بن وطبان فإنه من أقارب سعود الخارجي، وهو فصيح المنطق،
 داهية دجباء في التحايل وفي قلب المومخوع، وربما سأله بعض خواص
 علي باشا عن كمية عساكر سعود لعدم مناوخته لأهل النصح والديانة.

١٣٠٢
 ٢٠٠٠
 ٢٠٠٠

وأما ما ذكره المزרח التركي من العسكر أصابه ضرر من قلة العنف
 والرد، وتنتدونه حذع الكتخدا في هذه المصالحة، ومما يدل على أنه
 حذع، أن حمود بن ثامر أسي المصالحة إلا أن يعطيه الكتخدا كتاباً بأن
 الصالح كان علي غير احتير حمود، وقد زُمي في ذلك محمد بن شوي
 وهو بريء. ولما تمّ الصالح^(١) رجع نكتحدا إلى بغداد ولم يبق سعود
 واحد من الشروط بل طغى وغى وراد في بشر بدعنه [٢٦] وقتل
 المسميين عليها

وكان رجوع الكتخدا في رابع عشر سنة ١٢١٤ هـ أربع عشرة مائتين

والت

(١) قوله. ولم تمّ الصلح، كيف يقول عليه، (ن)، مع أن جميع الخط سعود
 محتلة، ولا يبد الصلح أمّا، مثل قوله. بد، وصلت إلى ولي في الدرعية، من
 رسمي سليم في صواب. ومن قوله. بد، صحت المصالحة بكل من سمع هذا،
 ويعتقد أن الصلح تمّ ولا غش له، ولكن ما حصل علي باشا مني قوله هذا
 الصلح المنكك، بالأحرى، وكثيره مبروك، بعدة نسي غير يعثره، ولو
 الله كتبه. آمين

وفي هذه السنة أقبل عبد الله آغا متسلم البصرة إلى بغداد، وتضرع
الوزير فآخذه الوزير سليمان باشا، وأرجعه إلى البصرة متسلماً.

وفينا تولّى قضاء البصرة الشيخ عبد الله الرجس^(١) ثم البغدادى
حشبي، وستأتي ترجمته.

وفينا أغار غزوة على الدليم قبيلة مشهورة قبل إنهم من حمير، وقبل
إنهم من كبلان، ولما غنم العنزىون منهم ومن غيرهم من عرب العراق أمر
الوزير سليمان باشا بأن شيخ العزيرين فاضلاً يزدي ما غنمته قبيلته من
أموال الدليم وغيرهم، فلما أمرهم فاضل لم بطيعوه، فخرج عنهم
الكتخدا علي باشا بعسكره، وأحاط بهم على شجرة فالتحق العنزىون بال
شعهم ومعهم عرب العراق، فشفعوا إليهم عند الكتخدا فقبل شناعة
المشعمين على أن يعطوا الكتخدا ثلاثة آلاف بعير وحمير فرت، هكذا
شدته الشريح التركى. والذي أحفظه أنهم حذروا الكتخدا ولم يعطوه شيئاً.

وفينا غزا الكتخدا علي باشا آل قشعم والدليم، فأغار عليهم ولم
يترك لهم دابة ولا شيء غنم سمعوا نبأه من بغداد فجاء في طلبهم إلى أن
وصل إلى شندش^(٢) وعاد إلى السارحة، وأرسل آل قشعم وغيرهم على أن
يرجعوا إلى بلادهم. فخرج كل إلى منزله.

وفي سنة ١٢١٥ الهـ (١٨٠٠ م) عشر ذوالحجّة وأثناء: تمرد آل
سليم من حرارة. ومنعوا الحجاج، فامر الوزير سليمان باشا بأن يغزوهم
علي باشا الكتخدا فخرج فلما وصل إلى ديارهم فرأوا به، وتجمعوا في
العتيق، فحارب إليهم حتى وصلوا، وحاصروهم، فلما حاصروهم الخفاق
التمسوا بالهدنة، فقبلوا أرواحهم. ونهضوا بهم ليلاً، وقتلوا المستعصر

ونبيهم، وأرسل الغنائم إلى سليمان باشا، ففروا أيضا فتبعهم فما وسعهم
إلا طلب الأمان والعفو، فمنحه إياهم على شرط دفع الخراج المتقدم
والمتأخر، مدفعوه ورجعوا إلى أوطانهم آمنين.

ومينا توجه عبد العزيز بن عبد الله بن شاولي إلى حج بيت الله الحرام
وأمره الوزير سليمان باشا بأن يمر في رحلته إلى الدرعية، ويتلاقى مع
عبد العزيز بن سعود ويكلمه في ديات من قتلهم من قبيلة خزاعة، وديات
سكن السحف وأموالهم [٢٧] فلما قتل من الحج اجناز بابن سعود، وكلمه
في هذه الأمور، وقال له: هذا كلام محال، لا أدفع الديات المذكورة، إلا
أن يكون سي الفرات لي، وشرقه لسليمان باشا.

فأمر ابن شاولي بخفي حنين، وما استفاد من اجتماعه بابن سعود
شيء، فرجع منه العقبلة.

ولما وصل بغداد وأخبر ناسا بحروب ابن سعود عصب الناس،
وعزم على عزو بن سعود، وأخذ يحترق في نساب الحرب.

وحرح عبد العزيز المذكور من بغداد، في آخر سنة ١٢١٥ هـ،
ورجع في سنة ١٢١٦ هـ.

وفيما تشفع الوزير عبد السلطان سليم أن يرجع تمر بك الملقب إلى
محل حكومته، وأن يمشى عنه.

وفيما أرباب أهل نجد على انحراف فأرسل علي بك الكتهدا
لمقاتلتهم، ومعه محمد بن شاولي الحميري، وفارس بن محمد الجرباء
الشامي^(١)، ومعهم من عسكر الوزير خمسة، فلما أدركوا أهل نجد وجدوهم

الشامي

قد تحصنوا بالرواحل، فأحجبوا عن مقاتلتهم وجبنوا، فرجع ^①العسكر إلى شتاتي.

وفي تلك السنة تمرّد عنك وجليحة ومنعوا الخراج، فخرج عليهم الكنتخدا فسار إلى أن نزل الوسعية فأعطاه مئتموها ما أراد من الخراج وتذّبوا.

وبينا عزل عبد العزيز عبد الرحيم باشا الكردي وأخوه سليم عن كرى وحرير لما كان منهم من الأمور المسايبة للطاعة، فأتى بيما إلى بغداد وغرّبا إلى الحلة، وولي الوزير محمد بن عمر باشا كرى وحرير.

وبينا عزى عبد العزيز بن سعود العراق، وأباح على كربلاء وأدّاهم كنس اسلاء، فقتل أكثرهم، وسب السادة، حتى بذل أمه ما عزم ابن سعود في مدة ملكه بعد خزائن المدينة المنورة أكثر من غنائم كربلاء من الجواهر والمحلي والنفد، ثم قتل إلى نجد متحجّجا بما فعه من منك دماء، لا إله إلا الله، وإن كانوا روافض.

ولما سمع الوزير هذه الواقعة أرسل علي بك الكنتخدا مع عسكر مرمر قد وصل الكنتخدا إلى الهندية إلّا وابن سعود قد سحا على العود المبرية.

وفي آخر هذه السنة عرّن الوزير سليم بك صبره عن البصرة

وفي السنة ١٢١٧هـ (سبعة عشر بعد الصائتين والألف). وهي الموافقة لثلاثين سنة من ولادة المترجم، توفي الوزير سليمان باشا أبو سعيد والآثار الجميلة التي سبنا هذا المترجم المنفخم [٢٨].

ودكر المؤرخ التركي أنه قبل الوفاة جعل ولي عهده علي بك

الكتخدا، وأوصاه بذلك مماليكه نصيفاً وسليماً، والمترحم المتفخم دهن
رحمه الله بجوار أبي حنيفة رضي الله عنه.

ومن مآثره الجميلة، أنه عثر سور بغداد، وأنشأ سوراً عربياً
بالنسب، وهدم دار الإمارة وعمرها من حديد بعمارة لائفة بالوزارة، وأنشأ
المدرسة المعروفة بالسليمانية، وشحها بالكتب الحديدية والنقبية والأدبية
وعمر جامع التبرانية، وجامع محمد الفصل، وجامع الخلفاء ونقصه عما
كان في الأصل، ودوق منارة جامع الإمام الأعظم، وأنشأ على نهر نارين
قطرة وعمر كوت العمارة وسورها، وعمر صور البصرة، وسور سيد
الربيع. وسور الحنة وسور ماردين، وأنشأ قرب الموصل قلعة حنة.

وأجمع أن الحل والعقد بعد دونه وكتبوا إلى السلطان أن علي بك
الكنخدا هو أولى بالوزارة من غيره وأرسوا العرص إلى الدولة، إلا أن
أحمد آغا كان مناقشاً، وقيل راصباً، رصده إيفاد نار الفتنة، فلا زال
يحتج لسليم باشا عنده التومي أن يطلب وزارة بعدد وينزل الحل في
تتميم هذا الحرام، ورفقه على ذلك حملة من المنسدين والعوغاء، فحاء
إلى علي باشا في صورة ناصح، وقال له: إن أهل العراق لا يحلون من
استحق، فالرأي عندي أن تأذن لي أن أعصم القنعة برمرة من ابكحرية،
فكون آمين من حبة الأهالي، والحزم في كل الأمور أولى، فحبه علي
باشا إلى ما طلب، ودخل معه في التلعة من أردده، ولكن عافية الماكر
لحرام، لما استشعر علي باشا ببدء الحديدية والحكيمة على الحرب مع
أحمد آغا وسليم باشا، فلما انتهى الفريقان كانت الميزبة على عسكر علي
باشا في داره، وجلس سليم فوق كرسي الحكم بصفوة البحرية. إذ أن أحمد
آغا لم يكتف من علي باشا حلوسه في داره، بل بالخروج إلى دار عبد الله

باشا، فلما اشتد الكرب وأشرف علي باشا على الهلاك هبت له رياح الفرج وساعدته بعض العساكر، فنصره الله على عدوه، وانكسرت شوكة أحمد آغا، وقُتل أشرف قتلة، وقتل جملة من أنصاره، وفر سليم باشا، وركب متن البر، فعنى علي باشا من العسكر الباقيين، وسكنت [٢٩] الفتنة، وصفا الوقت لعلِّي باشا، وصار وزير بغداد حثًا، بل وجاءه الفرمان من السلطان سليم بذلك.

وفينا غرا الوزير علي باشا بعدما وردت له الإيالة البياض من بلاد الأكراد، فأضاعوه وأعطوه ما أراد، ثم انشب بعسكره الجرار، وعبر مدحلة من الموصل لثمانلة حل سحار، ومن قاتل في واقعة سنحار محمد باشا واني كوي، وشتر عن مساعد المحدث، وأما إبراهيم باشا فإنه قاتلهم في يوم هزم فيه عسكره.

وفي تلك الأيام مرض إبراهيم باشا، ولما اشتد به المرض ذهب إلى الموصل، ومات رحمه الله تعالى، فلما بلغ الوزير وفاته نصب مكانه عبد الرحمن باشا، وانتقل إلى غربي الحبل لمحاربة أهل القطيف، وقام هناك أيامًا يتطعم في الأشجار ليحر إلى الحبل.

وقد شاهدته في تلك الواقعة، ووجدت عليه فأكرمي. وأنزلي شره، وظلت معه أنتمس تولى المدرسة المعمية في البصرة، فتصل علي باب، ورجعت من عده مسرورًا ثم سار الشا إلى محاصرة الحبل، وفي رجوعه غضب على محمد وعبد العزيز ابني عبد الله ابن شاري فأمر بختيما فخفا لأمر كان يتخمين عليهما.

فأما محمد فكان من أمراء العرب أهل النخبة والغيرة والحمية

والصدق والوفاء، وكان كلما زاد رفعة عند الملوك ازداد تواضعاً على العامة، وذلك أن أصله من خرقه العلماء وفي مدة عمره حلساؤه أهل العلم والصلاح، وكان يعتمد عليه الوزراء في السفارة بينهم وبين قرنائهم، لأمانته وفصاحته ودهائه، وظلما خدم هذه الدولة خدمة الصيوع الأمين، إلا أنه في المثل آخر خدمة السلطان قطع رأس، ولكن بعض الحساد أعروا الوزير عليه فخنته وخنق أخاه.

وأما أخوه عبد العزيز فما شو بعيد من محمد في العقل والنصاحة والديانة لكن لما أرسله الوزير سليمان باشا إلى الوهابية في نجد شرب بعض عقائدهم طناً أنبا هي الحق وما عداها الساطل لأن هؤلاء الوهابيون تعالوا في إظهار التصح للإسلام، حتى حرقوا عن الحد، وأطهروا للناس بعض رحارف لا تروح إلا على العوام، وعساروا يكفرون ما عدهم من المسلمين، حتى إن بعضهم ألف كتاباً، وذكر فيه أن لإمام السكي مشرك، وهم يسمون أنفسهم السلف، ويرغمون أن لهم قدرة [٣٠] على أحد الأحكام من الأحاديث النبوية، مع نبى ريت أعليهم يقرأ في الحديث، ويقول: حدثنا الخوثر بن هشام، ستم الحاء وسكون الراء، وم يعرف أن نحو الحدث مع (ال) يرسم بدون ألف، ومن حين مثل هذا، أفيل يجوز له أن يستنتج الأحكام من الأحاديث النبوية، مع أنه لا يعرف اصطلاح علم الحديث، بل ولا الضروريات منه، وما صرنا إلا حبلهم المركب، تحد، الرحل منه بدويًا حفي الطبع، كان يرعى الغنم، فأصبح ينسرق في القرآن بجيله وبرأيه.

نعم وإن كان في ربه بئس يرد عليه البدوي الجاهل الجلف فبعد مدة قريبة تتفجر يابيع الحكمة من قلبه، إلا أن ذلك لمشاهدته الأنوار النبوية

انبعث من ذلك النور قدر يسير فصيره بتلك الحالة .

وأما في زماننا فيؤلا الوهابيون لا نشك في أن كل واحد منهم بمزلة مبلغة الكذاب، فمن أين له نور؟ ومن أين له معرفة خاصة به؟ فصلاً عن أيها تتعداه لغيره، سبحانه هذا بيتان عظيم.

ولم أمر بختيما دفنا بقرب معضيما فرثيما بتصيد مطولة، وذلك في أول المحرم من سنة تاريخنا عربيا وهي سنة ألف ومائتين وثمانية عشر، وهي السنة الحادية والثلاثون من مولد المترجم.

وبعد ما أوقع الوزير علي باشا بذاتك السريين ما أوقع طر في الترية، والطاعون يحصد في العالم كحصد الزرع، لأنه ابتداء دخوله في بغداد سنة ١٢١٧هـ، واستمر إلى سنة ١٢١٨هـ، وهي سنة ألف ومائتين وثمانية عشر، وهرب من بغداد من هرب، واستخفى من استخفى.

وفي سنة ١٢١٩هـ (التاسعة عشر بعد المائتين وألف)؛ عز، سليمان بك ابن أخت الوزير علي باشا بادية الجليل أجاً وسلمى وعم نعماً وشبهه، فمعه الوزير كتحدا بغداد، وسار على جميع قرانه، وحال الأفاضل والعلماء.

وفي سنة ١٢٢٠هـ (عشرين ومائتين وألف)؛ قتل خالداً وغضب على عبد الله آغا وعربيه، وفي تلك السنة [٣١] قتل عبد الرحمن باشا الكردي محمد باشا والي كوي لما كان بينهما من العداوة، فذلك غضب الوزير علي عبد الرحمن باشا وغراه وثقت شمله وبدد جموعه

وفي تلك السنة حاصر معبود بن عبد العزيز البصرة وقتل ونهب وحرق وخرّب، ومستلم البصرة إذ ذاك إبراهيم آغا فصابر على الحصار

صبر الكرام، ثم إن حمودًا جاءه وماعده، وشد عضده، وكان غروه في آخر هذه السنة التي قتل فيها أبوه، ولما رجع من غزاته خائبًا أغار على أهل الضفير، ولم يبق لهم لا شاة ولا بعير، وآل الضفير قبائل متعددة من قبائل نجد، ومشايخهم آل سويط، وقبل إنيهم من بني سليم، فهم من بني قيس

وفي سنة الثالثة والثلاثين من مولد المترجم، وهي سنة ١٢٢١هـ سار الكتخدا سليمان بك لباعد خاله علي أمور الوزارة، وفيها انتدب الوزير علي باشا لمحاربة شاه العجم فتح علي خان، وأرسل العرصي ورثيه ابن أخته الكتخدا سليمان بك، فامر إلى أن وصل إلى حدود العجم، والتقى العسكران، وكان سليمان بك شائنًا خفيًا فيهم علي العدو من غير روية، فم كان مه إلا أنه انبرم هو وعسكره بل وأسر هو.

فلما بلغ الوزير أسر ابن أخته تشوش فكره وأخذ في الهزيمة بسن معه من العسكر إلى أن تحصن في أحد قلاع ممالكه، ثم جاء حمود بن ثامر وقوي عضده وماعده، وأقام في ذلك المكان أيامًا لبؤس الطريق والمسل ونسراهم بيما ساعون في أمر الصباح إلى تم الصباح، فامر إلى بعداد في آخر رجب، وكان خروجه منها في عشرين من ربيع الآخر

ثم إن العجم أطلقوا الكتخدا سليمان بك ورجع إلى بعداد بموجب الصباح، فما لبث في بعداد يسيرًا إلا وفاجأه حمله الوزير علي باشا المية، وذلك أن خدامه قتلوه وهو في صلاة المحر، فأحدوا وقتلوا، وظهير انعم والمحرن على سليمان بك من حاله، وإن كان قتل حله حلب له الوزارة كما سيئته.

وفي سنة قتل الوزير علي باشا قدم إلى البصرة العالم التحرير الذي
فاق في سائر العلوم معاصريه عالم المدينة على الإطلاق مولانا السيد زين
جمل الليل أبو عبد الرحمن، ولما شرف [٣٢] بلدتنا سلّمْتُ عليه ورويت
عنه الحديث المسلسل بالأولية، وقرأت أوائل الكتب الستة، ورويت عنه
الثبت المسمى بالأهم للشيخ أبي الطاهر إبراهيم بن حسن الكوراسي
اسمدي، وكتب لي إجازة دائمة على طول باعه في العلوم الحديثية

ولما ورد بغداد في حياة الوزير علي باشا أفاد وأحاد، وأكرمه الوزير
بما يليق بأمانته، وبأنه في إكرامه وأعلا مقامه، ومما أكرمه به الوزير علي
باشا، أنه أمر بإرسال مال حسيب إلى المدينة المورة يشتري له بب عتار،
ويرقب على السيد زين حمل الليل، لكن احترمه المية قل أن يرفي
بمراه.

وأما ابن أخته سليمان باشا فلم يرف بوضعية خاله، وممن سحر من
السيد زين جمال الليل داود باشا المحترحم، فأحاد برواية السحاري وفتح
الساري، وأمره الوزير سليمان باشا بعدما توفي خاله، بشراة السحاري على
رؤوس الأشباد، حتى ينمير علمه بين الناس، ثم رجع من بغداد على
طريق البصرة فلارمته واستغثت به، ثم رجع إلى المدينة في سنة ١٢٢٢هـ
الثانية والعشرين ومائتين وأنت

وهيأ تولى بغداد سليمان باشا ابن أخت علي باشا السابق وفيه
تسلط السلطان مصطفى العثماني بعدما قتل السلطان سليم

وفي السنة ١٢٢٣هـ (الثالثة والعشرين ومائتين وأنت): ورد إلى
بغداد حبر سلطنة السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد خان العثماني

وأدارت الدنيا بعدله وعزمه وهمته، وجدّد للدولة اسمًا بعدما درس
رسمها، وآلت إلى الزوال من تغلب الكفار من الخارج، وعصيان
الدريعات من الداخل، وخروج الوهابي بأرض العرب فأشرفت المملكة
على الزوال لولا أن الله مَنَّ به على الإسلام والمسلمين.

ومن ساقب السلطان محمود التي يفتخر بها على سائر الملوك إرثه
رأس لامتدعة الوهابي الخارجي من أرض العرب، وتطهير الحرمين من
تلك النحاسات بعدما ملكها الوهابي نحو سبع سنوات، فأمر السلطان
محمود محمد علي باشا والي مصر الكوللي^① أن يجتبر جيشًا لإزالة الوهابية
من سائر أرضه، وذلك بعدما استولى الوهابي على الحرمين، ونهب
جميع ما في الحجرة من الذخائر والحواهر، ومه^② حجاج مصر والشام على
أنهم [٣٣] متركون، فلا يقرب لمسجد الحرام بعد عامهم هذا

ثم إن محمد علي باشا شتر عن مساعد الحد في خدمة السلطان،
وأرسل جيشًا عرمرمًا، وربيّه أحمد طوسون باشا ابنه، وحدث سنة
١٢٢٥هـ خمس وعشرين ومئتين وألف، فمن قدر الله أن يلا يرد، أنه
لما وصل طوسون باشا إلى بعب عزم على الرحيل إلى المدينة المنورة،
فكثرت عساكر بن سعود متجمعة في الصفراء من أرض الحوادم، فشب
الحرب بين الفريقين في الصفراء، فوُلّا كانت الجزيرة على الوهابيين، ثم
في آخر النهار جاءهم مدد وهم عرب الطواهر، وشيخيم ابن مصيد،
فشرى به عند سعود، ولم جموعه، وهجم على الروم، فلم يبع الروم
إلا لرحلهم وتركوا أثاثهم، ووصلوا إلى ينبع، وتحصنوا فيها.

وكتب أحمد باث طوسون لوالده محمد علي باشا يخبره بما وقع.

ففي الحال أمده بعساكر، ومهمات أخرى، وبقي في ينبع، وواقعة الصفراء كانت في سنة ١٢٢٦ هـ ستة وعشرين ومائتين وألف.

١٠ هـ
فلا زال في ينبع يتألف الأعراب من شيوخ ^١حزب ^٢بائعطبا والأمانى إلى أن وصله المدد من مصر، فعزم على السفر إلى المدينة المنورة مع جبرته، فمن حين سافر من ينبع إلى أن قرب المدينة ولم يحضر سعود على ملاقاته جهاراً، فوصل المدينة وفيها أتباع سعود عشرة آلاف من أهل نجد وعسير مرابطون لحفاظتها، فلما حط رحله بقرب المدينة أطاعه أهل المدينة وهم في غاية الفرح والسرور.

والمرابطون انحصروا في القلعة، فلا زال الحصار عليهم، وأهل المدينة يدبرون مع أساها في كيفية إتلاف الوهابيين، تارة بالغام البارود، وتارة بالرصاص، وتارة بالمدايع، وأهل المدينة عَمُوا العساكر جميع الطرق، التي يأتي من المدد للمرابطين فحاصروها العساكر، ومعهم أهل المدينة ولم يحق الحصار بالمرابطين طموا الأمان من نهب بعد أن هلك نحو مئتين من الحرب ومن المرض ومن الجوع، فعطشهم الأمان وخرجوا مطرودين إلى الوادي، وطُهر الله المدينة المنورة من هذه الحائث والأرجاس، وحروجه من المدينة في سنة ١٢٢٧ هـ.

١٠ هـ
وفي سنة ١٢٢٨ هـ: حلت الحرمان من جميع أنواع الوهابية، وفي التاسعة [٣٤] والعشرين استولى محمد علي باشا على جميع أرض الحجر، وحملت واقعة حيمة بين عساكر محمد علي باشا والوهابية في ^١نزبه. وكانت التزيمة على الوهابية، وكان رئيس عسكر الوهابية هو فيصل بن سعود، ورئيس عسكر الروم هو محمد علي باشا بنسه.

ولما فتحت المدينة المنورة، وأرسل بمفاتيحها إلى الدولة العلية، خرجوا لملاقاة المفاتيح من خارج القسطنطينية، ولاقوها بالمباخر تعظيماً لجميع كبار ورجال الدولة وعلمائها، وخرج السلطان محمود بنفسه إلى خارج السراية لملاقاتها، وأرسل إلى سائر البلدان بالبشائر والتهاني، وفي الحال أمر السلطان أن يعيدوا في الحرمين ما امتدت إليه أيدي الخراب، فأعيد إلى الحالة الأولى، بل أحسن وزاد في إعطاء أهلها، وسيأتي إن شاء الله تعالى قصة فتح الدرعية، وإرسال إبراهيم باشا إليها وتخريبها.

ولما تولّى الوزارة سليمان باشا المتول سار في الناس سيرة حسنة، وجلس العلماء، ومن بطن فيه الحبر، ومنع قضاة الأعمام عن أحد العثورة، ورتب لهم كتابتهم من بيت المال، وحطى عنده من علماء بغداد شيخاً علي المويدي عالي الإسناد في الحديث، ولولاه لخربت البصرة، ولم يجب مينا قوصيرة، وذلك لسعي متسلمها في تدميرها وخرابها لظلمه وعسفه.

في سنة ١٢٢٤هـ (أربع وعشرين ومائتين وثلاث). عرا المورير سليمان باشا المتول ديار بكر جيش عظيم لنذيب آل الصغير، وقبيلة من عشرة كبيرهم المدرعي، وكان خروجه من بغداد في الخامس والعشرين من محرم.

فلما جاوز الموصل شق العارة على أحد سحار فصبح القوية المعروفة بالبلد، وغنم وقتل وسى، وتحصن من بقي من أهلها بشية من ثا سحار، ثم توجه إلى آل الشنير والعريين، فلما وصل إلى رأس العين بين حراب ^① ونعيسى، وكان أخوه من الرضاة أحمد بيك توجه إلى ماردين

① هران

بطليعة، فما كان منه إلا أنه أرسل يطلب من الوزير المدد، فأمدّه بعسكر وتوجّه هو إلى ديار بكر، فلما وصل إلى قرية يقال لها دبرك حاصرها، فأظهر أهلها الطاعة، وأرسلوا له هدايا تليق به، وتوجّه منها إلى ماردين، فورد عليه أخوه أحمد بيك [٣٥] وقد كسره آل الضفير، وقتل من عسكره خلق كثير.

فلما أراد الباشا التكرّ عليهم، وأخذ الثار منهم تخلف عنه بعض الأكراد راجعاً، فما كان للوزير بدّ من الرجوع إلى بغداد، فسافر ووصل الموصل وبعدما رحل عنها بلغه أن بني عبد الحليل من الأكراد أرادوا إخراج وزيرهم أحمد باشا وقام والي بغداد ليصلح حال أحمد باشا، واشتدت الحرب، فانتقل الوزير عنهم مسافة ساعتين، فلم يمكن، والي الموصل الاستمرار فلتحق بالوزير سليمان باشا، وطلب منه المدد فحلف عنه بعض رجاله، وتوجّه إلى بغداد فبحررد وصوله نفى خازن داره عبد الله بيك، ومعه فخر بيك إلى البحرة لما بعثه عنهما من المخالفة، وأرسل سليمان باشا انكردي إلى أحمد باشا والي الموصل، ليكون في مساعدته.

وكذلك أمر متصرف العمادية ربيعاً أن يرسل عسكره مساعدة لوالي الموصل، فلما وصل سليمان باشا، وعسكر العمادية إلى أحمد باشا أخذ يحارب بني عبد الحليل، مصره الله عليه، وأسر الأمير عثمان بيك أحد بني عبد الحليل، فلما انتهزم الأعداء وأسر من أسر انتفعت لأحمد باشا بندقية قتله فما انتد من حلاوة الظفر حتى تعص بمرارة الموت.

ولما بلغ والي بغداد قتل أحمد باشا، أرسل أخاه من الرضاة أحمد

بيك الذي ولّاه حكومة البصرة بعسكر ليحاصر الموصل، ويستقم من بني عبد الجليل الباغيين على واليهم بالنفي والقتل.

فلما وصل إلى إربل أغار على بعض قرى الموصل، فبينما هو سائر إذ بلغه أن إيالة الموصل توجهت إلى الأمير محمود بن محمد باشا أحد سي عبد الحليل، ففعل أحمد بيك، ودخل بغداد.

وفي سنة ١٢٢٥هـ (خمسة وعشرين ومائتين وألف): طهر للوزير أن سليم بيك والي البصرة راسل الدولة طالبًا إيالة بغداد، وشيرزور، وابصرة. فلما بلغ والي بغداد وقع في حيرة، فراسل محمود بن ثامر طالبًا منه أن يخرج ^١سليمان من البصرة، فتكاسل محمود عن ذلك حتى تيسر له الحال، لأن سليمان أقبه أن الرئيس قل من الدولة بعزل سليمان باشا، وتوجه الإيالة لي، فلما استنطق محمود قدوم الرئيس، إذ لم يأت به خبر عنه، مع ترادف رسل الوزير سليمان [٣٦] باشا عليه قرب من البصرة وحاصرها بمعاونة أهل الربر، وبرعش بن حمود، فخاض بعض العساكر النجديين، وفتحوا أبواب السور، ففتق في يد سليم باشا، فسافر في مركب إلى أبي شيرزورًا من الباشا والي بغداد.

وفي هذه السنة بعدما فرّ سليم باشا ورد إلى البصرة أحمد بيك، أخو الوزير من الرضاغة، متسلّمًا للبصرة، ومبينًا ورد البصرة الشيخ علي بن محمد السويدي، أرسله الوزير سليمان باشا إلى حمود بن فتح البصرة لكونه من حواري الوزير، فكفّ عنه به عن أهل البصرة ما عسى يتوقعون من حاكمها أحمد بيك أخو الباشا من الرضاغة.

وأحمد بيك هذا هو في غاية من سوء التدبير، فما استقرّ المتسلم

الجديد إلّا وجاء خبر وصول الرئيس إلى بغداد، وأن الوزير متحيراً في ذلك، ولم يدر أهو جاء بعزله أم جاء لغرض آخر، فبعدما جلس الرئيس في بغداد بعض أيام، وهو خائف لم يبرز الأوامر التي بيده إلى الوزير بعزله، فما كان منه إلّا أنه ركب جواد الفرار، وطار من بغداد لأوهام اختبرته من الوزير، فلما وصل الموصل استصرخ بعبد الرحمن باشا وأكراده قائلاً أن الوزير سليمان باشا عصى ورفض أوامره الدولية العلية، والحال أنه لم ينطق من أوامره ولا بينت شفة.

فما وسع عبد الرحمن باشا إلّا مساعدته لتفديد الأوامر السلطانية الراحبة الإطاعة، والفرامانات الخانقية المفروض تعظيمها، فلما وصل الرئيس إلى بغداد ومعه عساكر الموصل والأكراد، ومعه أيضاً عبد الله بيك، وظاهر بيك، اللذين نسيا قبلاً إلى البصرة، فخرج الوزير عيهم لمحدرة مخرجه أنصاره، وجن عساكره، ففر هارباً قاصداً شيخ المتنق حمود بن ثامر فاجتار بشيلة الدفاعة، فقام عليه أحدهم وصره برصاص فقتله وهو ضيفيم ونزيلهم

فلما شاع خبر موت الباشا كثر عليه الأسف من انقاصي وامدائي لحسن سيرته وعدله، وشفتته على الشعباء

وفي سنة قتله تولّى الروراة عدائه باشا الذي كان منفيّاً إلى البصرة، وفي السنة التي بعدها قتل سليم بيك الذي كان متسلماً البصرة، وقتله عبد الله باشا وظاهر بيك، لأنه سعى في حياتهما، وذلك أن سليمان باشا لما ماتهما [٣٧] إلى البصرة أرسل أوامر لسليم باشا بقتلهما، فحاول سليم باشا حتى هربهما ونجّاهما، وأعطاهما من عنده مالا ليتوصلا إلى بلاد الأكراد حيث يأمان على أنفسهما.

فلما صفا لهما الوقت، وملكا زمام بغداد، وفد عليهما ليجازياه
ويكافئاه على إحسانه، فما كان منهما إلا أن قتلاه زاعمين في الطاهر أنه
كفر نعمة سيده.

ولما تولى عبد الله باشا أعطى عبد الرحمن باشا الكردي قيادة
وسلمه وسه، فوقعت بينه وبين الرئيس فتنة، قتل فيها جملة من أهالي
بغداد، وفرّ جملة أخرى، أما الرئيس فكاد يكون قتيلاً، فرجع إلى مارامه
عبد الرحمن باشا الكردي، فبعد ذلك استقرت الأمور لعبد الله باشا.

وفي سنة الأربعين من ولادة الصترجم، وهي سنة ١٢٢٨هـ (ثمان
وعشرين ومائتين وألف): غزا عبد الله باشا عبد الرحمن باشا الكردي
لتجاهره بالعصيان، فتلاقيا في موضع يقال له كبرى، فشب الحرب بين
اثنين، فكانت الهزيمة على عسكر عبد الرحمن باشا الكردي، ففرّ إلى
كرمان من بلاد العجم.

وممن قتل في هذه الواقعة خالد بك أخو عبد الرحمن باشا، ومكث
الوزير ثلاثة أيام، وبعدها توجه إلى كركوك، وحس متسلمها خليل س
عماري مصطفى، وقصينا عند أمدي، وحس أيضاً شاطئ^(١) شيخ شمر
وثلاثة من كبار عشيرته، وتوجه إلى الموصل قاصداً تكيل سعد الله باشا
لتحلته عن مساعدته، ولما راسلته مع عبد الرحمن باشا.

ولما بلغ سعد الله باشا توجه الوزير لمحارسته استقبله واعتذر منه،
فقبل عذره وعنى عنه، ثم رجع الوزير إلى بغداد، ولما وصل الجديدة
بلغه أن سعيد باشا ابن سليمان باشا فرّ من بغداد إلى حمود بن ثامر،
فدخل الوزير بغداد يوم ٩ رجب، وفي أول ذي القعدة خرج الوزير يوم

حمود بن ثامر مشكور شيخ ربيعة، بعسكر جرار، ولم يدر أن الدائرة عليه
متدور.

فلما وصل أرض المثنى عبر من غربي الفرات على الجزيرة،
فوافقه على محاربة حمود بن ثامر مشكور شيخ ربيعة، وبعد ذلك غزا من
المثنى صالح بن ثامر مشكور الربيعي، فتقاتلا [٣٨] ملكاً، فانهزم مشكور
ومن معه، فعزل الباشا حمود شيخ المثنى من المشيخة، وولى بدله
محم بن عبد الله بن محمد بن ماع أخو ثوبى، فلا زال حموداً يكاتب
الباشا ويترصاه في أن يدفع له جميع ما صرفه على العسكر، وهو يأبى.

ولما وقع بين صالح بن ثامر ومشكور ما وقع، وقتل مشكور زحف
الوربر بعسكره إلى أن برز قريباً من عرب حمود فصاق حمود ذرعاً مع أنه
يعلم أن مقاومة عسكر عداته باشا يميلون في الساظ مع سعيد باشا،
وكنه لحذره لم يثق بمرسلاتهم، ثم حمل الجيشان على بعضهما، وانهمز
كثير من أتباع حمود وصدق الحملة برعش بن حمود قطعه بعض عسكر
عبد الله باشا، وحمل على ابن ثامر، وقتل بجم بن عبد الله المصوب
محمود من جانب الباشا شيخاً على المثنى.

ولما كانت عشيرة حمود تولى الأدبار انهزم آل قشعم من عسكر
عبد الله باشا إلى المثنى، وكذلك انضم كثير من أتباع الباشا الذين يميلون
إلى سعيد باشا إلى حينة المثنى، فنقط عبد الله باشا، وظاهر باشا في
يديهم، فصدوا الأمان من حمود، فأعطاهم الأمان، ولكن لم يبق لهما به،
بل عشيرته بنت العكر، ولم تنق معهم ما يبترون به عوراتهم، بل
تركبتهم مكشوفين المواقف، فأمر حمود بن ثامر على عبد الله باشا وظاهر

باشا، وثالث معهما أن يتَّيدوا في الحديد، ويذهب بهم إلى سوق
 الشيوخ، وهي قرية المتنق المخصوصة بهم، فلما مات برغش بن حمود
 من تلك الطعنة خنقهم راشد بن ثامر، وبعدما قُبروا نُشوا من القبور،
 وقطعوا رؤوسهم، وهذا جزاء الغدار، فإن عبد الله باشا الكتخدا، وظاهر
 باشا الخازندار، فعاقبهم الله بمثل هذا العقاب الشنيع، وبعد هذه الواقعة،
 ارتنع أمر حمود بن ثامر وصار له شأن غير الشأن الأول، وصار أمر سعيد
 باشا بيد، فلذلك أعطاه سعيد باشا ما في جنوب [٣٩] البصرة من قرى،
 وضحك له الرمان وأطاعه بما شاء، ثم توجه حمود مع سعيد باشا إلى
 بغداد، ودخلها بالموكب والأبينة والجاه، وكتب سعيد باشا للدولة
 بحاء الفرمان بأنه والي بغداد والبصرة وشهرزور، فرجع حمود إلى
 المتنق، لكن سعيد باشا لا يرم صغيرة ولا كبيرة إلا بمشورته، ولو تباعدا
 بالأجسام من شدة محبة له.

فلما وصل حمود إلى مشرط طمي ومعى وتغير حاله الأول، وكثر
 النساد من أنماعه وعشيرته، وكلما اشكى أحد منهم لا يسمع فيه شكوى
 وصار كل من قصده مطرودا أو مظلوما لا يقربه إلا الطعام فقط، ونكتر
 وعسى.

وفي تلك الأيام صار أهل البصرة لا ينامون من تسلط سراق سي
 المتنق، حتى إن السارق لينور البيت العالي في النيار فضلا عن الليل،
 فإن وجد شيئا أخذه وباعه في البصرة، وصاحبه يراه، ولا يشدر يتكلم.

وأما سعيد باشا فإنه نعم الرجل، لولا أن فوض أموره لهذا البدوي
 الغشوم الظلوم، وعما نقم الناس عليه، أعطى حمودا ما تحت يده

وتصدير حمد أبي عقلين، وإعراضه عن تدبير مملكته بنفسه، وتسليمه
زمام الملك إلى من لا يُقدَّر للملك قدرة، ولو فوّض أمره للوزير المترجم
داود باشا لرأى من العدل ما ينسي أخبار أنو شروان.

تولى سعيد باشا وزارة بغداد في السنة الحادية والأربعين من مولدي
المترحم، وهي سنة ١٢٢٨هـ ثمان وعشرين ومائتين وألف، وفيها غزى
والي بغداد قبيلة خزاعة لطغياهم وقطعهم الطريق، فلم يُخْذِه عزوه شيئاً.

ثم في سنة ١٢٢٩هـ. جئز عسكرياً جراراً وأمر عليهم الأسد انعصر
دود باشا، فادر نعرو زيبه وشمر وخراعة وآل الضفير، فإنهم عاثوا في
الأرض بالنسداد، وأحرقوا جميع قرى بغداد، من أن حاصل كربلاء، وكان
فيها إذ ذاك من زوّار العجم أربعون ألفاً، وفيها زوجة شاه العجم جاءت
لزيارة، فخرج الوزير المترحم مرعاً لإنقاذ الزوار من أيدي الأعراب
المفسدين، واشتد الحرب بينهم، فكانت الجريمة على الأتقياء، فأرسل
بعض عسكريه إلى كربلاء، ليأتوا بالزوار إلى [٤٠] بغداد بعدما أرادهم
السحق، ثم تركه دود باشا بالعسكر لعرو خراعة، وفي أثناء الطريق،
عزل شيخ ربيد، وأقام مقدمه شمس - شلال، وأثّرمه بمحافضة الطريق،
ثم تخطّى مشايخ آ وادي، وبعد محبتهم إلى العسكر عاقبتهم وشنّ الغارة
على أهاليهم، فأبرموا ونشتوا شذر مذر، فعم الباشا مواشيهم، وسار
إلى الديوانية من أرض بني خزاعة، فلما رأى خراعة العبرة في غيرهم،
اتّادوا لطاعة، وأتوه طائعين خاضعين طالبين العفو والأمان، وأعطوا
المحراح التقديم والحديد، وقدموا الهدايا اللازمة، وانتهت سنة ١٢٣٠هـ
ثلاثين ومائتين وألف.

ثم دخلت سنة ١٢٣١هـ (إحدى وثلاثين ومائتين وألف): قتل
بنو بن قرنيس الجرباء الطائي التعلبي، وأوتي برأسه إلى سعيد باشا، وزير
بغداد، لما بينه وبينه من العداوة، وبينه هذا من كرماء العرب وشجعانها،
حتى إنه كاد يحاكي فارس الشماعة في الفروسية والشجاعة، وأعجب ما فيه
الحياء فإن حياؤه يزيد على حياء البنت العذراء، وكانت لا تظهر شجاعته
ولا فروسيته إلا وقت الحرب، وهو يتمي إلى طيء.

فصل

في سبب خروج الوزير المترجم من بغداد
وسموه إلى أعلى ذرى المجد

اعلم أن الوزير سعيد باشا لم يزل داود باشا ناصحاً له حادماً له
ولأبيه، حارياً على وفق أوامره، وطالما كان المشاق في المحافظة على
راحة سعيد باشا، وفي المحامات عن ملكه، وطالما سبر الليالي الطوال
في غزو العصاة أرضاً، لخاطر سعيد باشا، وذلك شكراً لما لوئده عليه
من لسم، ومثل هذا الوزير حدير يحفظ حقوق الآلاء لما هو عليه من
المروءة والشماعة والعبارة والسحرة، وطبرة الدطر، وجزالة الرأي،
والوفاء بالحواعيد، وكان داود باشا لسعيد باشا الوالي ردّاً وترساً وساعداً،
فلما رأى أرباب الأغراض تشربه حدوده وأصمروا بعده ثم حتى يتم لهم
غدرهم بالأمة، ولا زالوا يلتنون في حثه عند سعيد باشا كاذب
ومخلفات، ويدسون عليه ماوىء حشاة وهو بريء مينا.

فوافقهم سعيد باشا لكونه عراً لا يشرق بين [٤١] حديقته وعدوه،
فأصمر سعيد باشا قتل داود باشا وشاور بعض الناس في هذا الأمر،

فوصل الخبر إلى المترحم داود باشا، فصار في حيرة، فأشار عليه بعض
خلائه بالتقرب من بغداد لسلامة روحه، ولأنه لا يكمل البدر إلا بالسري،
ولولا التقرب ما وصل الندى من البحور إلى السحور، وأنشد:

ولا يقيم بدار لذل يا ثنيا
إلا الأذلات عبر الحي والوند

فخرج من بغداد والإقبال يقول: بشراك شراك، والتقى تلو عيه،
ومن يتق الله يحسن له من أمره يسرا، لاني عشرة خلت من ربيع الأول من
السنة الرابعة والأربعين من مولده، وهي الحادية والثلاثون بعد المائتين
والألف، ومعه مائتان وخمسون فارساً ممن يبعون أرواحهم في حبه.

فلما بلغ كركوك كتب الدولة العلية في طلب وزارة بغداد، وأرس
لهم كتاباً يتضمن من اللاصة أبحاثاً يد على سعة باع كاتبه في جميع
العلوم، من وفي الحنفية من السياسات والجلية، فملاً عيون الدولة،
وعلموا أن في العراق رجلاً، وأرسلوا له برماً بأنه والي العراق، البصرة،
وشهرزور، وبغداد.

فما وصل أمر سلطان محمود إليه قلبه بالإجلال والإكرام على
حسب الرسوم استتميب الحال، وفي الحال كتب نسخاً متعددة محررة من
صورة ذلك نمران العالي الراحب التعظيم والاحترام، وأرسل إلى من
بيدهم الحق واعتقد في نواحي بغداد، مثل حمود بن ثمر، ولثيب،
والكتخذ وغيرهم من أعيان بغداد لكي تغطي الفتنة بمجرد سماعهم هذا
الخبر، فآزمع حمود على الرجوع إلى وطنه، وتخلّى عن سعيد باشا.
وقال له: إنا نحميك ما دمت خادماً للسلطان، والآن ما يسعنا إلا تأميس
أوطاننا، أو أن تسمع نصحتنا، فافر معنا إلى أرضنا فلو أسلم لعاقبة

أمرك، فلم يرضَ سعيد باشا بالسفر مع حمود، بل بقي على زعمه أنه يحارب داود باشا، ويمنعه من دخول بغداد، وما يدري أن جميع العراق ارتحف بمجرد سماعهم اسم داود باشا، فتخلّى حمود عن سعيد باشا، وأسلمه أصدقائه ومحبيه.

وأرسل أكثر أهالي بغداد إلى داود باشا أن اقبل [٤٢] ولا تحف إبت من الآميس، وقيل والدنيا تضحك في وجهه، ودخل بغداد دار السلام بعد الظهر، يوم الجمعة، حاسر ربيع الثاني سنة خمس وأربعين من مولده، وهي سنة ١٢٣٢ هـ اثني عشر وثلاثين ومائتين والألف، فصحكت أفواه المسرة، وعُدَّ يوم دحوه عيدًا للحاص والعام، وهذه الشعراء بالفصائد، فحازهم واستقر على كرسي الحكم، وأحدى السياسة والشريعة على ما هي عليه في الحقيقة، وقتل من قتل في تلك المعركة، ومن قتل فيها سعيد باشا ابن سليمان باشا، وكان قتله على غير رضا داود باشا، ولكن المستدر كاش

وفي هذه سنة أمر السلطان محمود محمد علي باشا والي مصر بإرسال عسكر لقطع دار الوهابيين من الدنيا، ولم يكتب لسلطان شنج الحرميين فقط، فسافر إبراهيم باشا بن محمد علي باشا بعسكر جرار، ووصل المدينة المنورة، وتوجه إلى نجد، وفي مقدمة جيشه أرن علي عني مائتين وخمسين خيالاً من فرسان الرحال، وكان مع عبد الله بن سعود في تلك الولاية جيش جرار، ظل يعي فيه من حين سمع خروج إبراهيم باشا من مصر، وعدد جيشه في تلك الواقعة نحو أربعين ألفاً.

فأول ما التقى من جيش إبراهيم باشا أرن علي، وكان عبد الله بن

سعود في ألف فارس طليعة لقومه، والجيش خلفه بمسافة ثلاث ساعات، فلما رآهم أذن علي استئثار ألف فارس، وأغار عليهم فوراً بالمائتين وخمسين خيلاً، وانتشب القتال بينهم، فكانت اليزيمة على عبد الله بن سعود بسبب أن عسكر أذن علي مع كل عسكري خمسة نيران يحارب بها البندق، الذي على كتفه، وطبختان على مسرح الحصان، وطبختان في حزم العكري.

فلما انتهى الجمعان أثار كل عكري خمس رصاصات على كل عكري ابن سعود، فكان الذي رمى عليهم في دقينة واحدة: ألف ومائتين وخمسين رصاصة.

وأما عسكر ابن سعود فأكثرهم عرب يضربون بالأرماح والسيوف، ومعهم بعض بنادق، إلا أن قليلاً، وجميعها تقد بالفتنة، فددموا بدمر يتدمرون بتربيع فتاليهم إلا ودهمهم أن [٤٣] علي بحينه ونيرانه، فكان هذا سبب هزيمة عبد الله بن سعود مع الألف ورس الذين كانوا معه، فلما ابتزموا التحتوا بحيشهم الكبير، ولكن دخل الرعب في قلب عبد الله بن سعود، لما شاهده بعينه من الطيران التي قتلت قومه في لحظة نصر، وخسره أنه لا قدرة له على حرب الروم في هذه الأماكن، خصوصاً، وروم معهم جملة من المدافع، وإلى الآن لم يسمع صواعقها، فكر راجع بجيشه تتبعه إبراهيم باشا إلى أن وصل الرس، وحاصرها إلى أن فتحها صلحاً. ثم صار قاصداً عنيزة، فنزل ابن سعود بجيشه إلى الدرعية بمحرد سماعه وصول إبراهيم باشا إلى عنيزة، وحاصرها فأطاعه أهلها ما عدى قصر يسمى قصر الشفاء، شاهق البناء محكمة، فيه من أتباع عبد الله بن سعود مرابطون، فآذروهم الباشا، وأمرهم بفتح القصر، فنبوا، فرمى عليهم بعضاً من

مدافعه، فهدم القصر على رؤوسهم فصاحوا وطلبوا الأمان، فمنحه إياهم،
وهم صاغرون، وخلقى سيلهم ثم ارتحل من عنيزة، ونزل بريدة، فأطاع
صاحبها، لما رأى العبرة في غيره، واسم صاحبها حجيلان من بني عليان.

ولنرجع إلى أخبار داود باشا، ففي أول عام من وزارته، أطاعه
جميع العشائر من الحاضر والبادي، وامثلوا أوامره، إلا آل وُلَيْم، فإبهم
ارتكوا التصاد والعصيان، فعزم الباشا على غزوهم، معراهم بعكر حرار
عليهم محمد بك الكتخدا، فأطاعوه، وأدوا ما عليهم من الخراج.

وفي سنة ١٢٢٢هـ ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف): أرسل
علامة العفو إلى أعراب نديم، واستلم منهم الخراج، وكثر العكر
راحقاً، فنصد عرب الحوية، ونكبهم خمسمائة ذقة، في مقابلة ما يهوه
من الحديدتين، ثم رجع لكتخدا، وفي رجوعه غرا آل يسر فغنم جميع
أموالهم ومواشيهم.

ولرجع إلى أحرار إبراهيم باشا المصري، فيه نيس من بريدة من
أرض النعيم غارماً على قتل ابن سعود، وأحده مأسوراً إلى السلطان،
فوصل إلى «شبرا» من قرى نجد، وكاست غاصة بعكر سعود،
فحاصرها، وامتصوا من الطاعة، فصرينا بالمدافع، وهدم سورها، وهلك
أكثر أهلها، بعد [٤٤] ذلك طلبوا الصلح والأمان، فمنحه إياهم، ودخل
البلدة.

فأما ما كان من أهل الدرعية، فيه خلقى سيلهم، فلهقوا بدرعتهم،
ولم يبال بتقويتهم لقوميتهم، لما هو واثق به من قوته، وضعف عرب ابن
سعود فارتحل إبراهيم باشا، ووصل القرية السماة بضرمة، فامتعت عن

الطاعة، لأن فيها جملة من أهالي ديانة الوهابية المتعصبون على دينهم،
فأنذرهم الباشا فلم يسمعوا، فصبت عليهم نيران الأطواب حتى ترك سور
بلدتهم كأن لم يكن، فغارت الخيل عليهم من جميع الجهات فأبادتهم إلى
آخرهم الرجال والشباب والشيب، ولكن لعنة إبراهيم باشا، حذر العسكر
عن النساء، فسافر إبراهيم باشا قاصداً بلدة ميلمة انكداب، ألا وهي
الدرعية، فذول ما وصلها أمر بقطع الخيل، وحاصر البلدة، وطلب من
ابن سعود مواجهة السلطان محمود، وتركه لهذه البدعة التي سنكت دماء
لمسلمين، وأخرت جزيرة العرب، فلم يرضَ عبدالله بن سعود، بل
طلب الحرب والزال والطعن والقتال، فحاصرها الباشا، ورمى على
البلدة بالمعدافع، وصبت عليها من الكلل ما يريد عن الخطر، حتى أدت
البلدة، وأهلك أكثر أهلها، وخربا إلى أن صارت قاعاً صفصفاً

بعد فتحها بيومين ربط عبدالله بن سعود، وأرسله إلى السلطان
محمود، وصار فتحها في التاسع من ذي القعدة الحرام، وهذا الفتح الذي
أعز الله به الدين.

وفي تلك السنة أرسل داود باشا واني بخداد محمداً ومجداً إلى
عرب الخالدي الحميدي، ومعهما قناصلهما لأجل فتح الحسا والقطيف،
فسارا وحاربا من كان فينا من عسكر ابن سعود، وفتحوا الحسا والقطيف
بعد حروب طويلة، وفر عسكر ابن سعود إلى حيث لا يعلم خبرهم لأنه
لا معش لهم، حتى حيث أخذت الدرعية، وامحت شركة الوهابيين من
الدنيا، وصار الباقيون منهم يتوارون في الأحجار في الوادي كالجربيع
والأرانب حتى إنه ذهب بعض المفلسين.

وحسن إبراهيم باشا المصري أخذ الحسا والقطيف [٤٥] فأرسل من طريقه عسكرياً وعليهم عثمان بك الكاشف، فخلص الحسا من يد الخالدين، ففر الخالديون إلى بغداد، ففي الحال أرسل داود باشا محضراً إلى السلطان محمود، يطلب منه أن يعيد الحسا إلى الخالدين، أتباع العراق وبغداد قديماً، فجاء فرمان السلطان محمود إلى إبراهيم باشا، ومحمد علي باشا، مضمونه ترك الحسا وتسليمها لمحمد ومحمد إني عرعر، فسلمها إبراهيم باشا، ودفع عكره عنها امتثالاً للفرمان الواجب التعظيم والاحترام، ورحل عنه عثمان بك الكاشف بدون حرب ولا ضرب

وفي تلك السنة أخذ قبيلة الصفور العربيون بالتعدي والمخالفة، وقطع الطرق، ونزلوا غربي الميصب، وحرّروا وبنوا، فأرسل داود باشا عليهم عسكرياً، ورئيسهم يحيى الخازندار، وكان غزاً لم يجرب للحروب، فأول ما رأى خيام الصفور أغار عليهم من غير تعبئة لعسكره، فلما انتشب القتال بين اثنتين كانت الهزيمة على العسكر ويحيى بك، وأسر من عسكره حملة، فرجع إلى بغداد محمولاً مبروراً

١٥ الحسين

ولما سمع مشكور الشمري كسرة عاكر الباشا، اغترّ وطمع، وشرع في الإفساد وقطع الطرق، فحقّر عليه داود باشا سرية من عسكره، ورئيسهم محمد بك الكنحدا، فعراهم ولما قرب من رحابهم وسمعوا به ركبوا من الجرب، وطاروا إلى النجافي والفتار، فنيب الكنحدا ثمانية آلاف شاة من غنمهم، ومائتين من الإبل، ورجع إلى بغداد مصوراً بالغنائم معه.

وفي سنة ١٢٢٤هـ (أربع وثلاثين ومائتين وألف): أمر الوزير داود باشا صالح آغا الكردي أن يخرج إلى السجف بطائفة من العسكر لتأديب بعض طوائف هناك خارجين عن الطاعة، ويلزمهم بالخراج كسائر العشائر، فتوجه صالح آغا الكردي، فلما بلغ المشهد تقاتل هو وابن ديس، وكانت الهزيمة على ابن ديس وقومه، فقطع رأس ابن ديس وأرسله إلى بغداد، وأرسل الباشا خلعة تولية مشيد علي إلى محمد طاهر أفندي.

ثم إنه بلغ الشا أن جليحة وعنك والصفور عادوا إلى الطغیان ولسب [٤٦] الأمنية، وجيز عليهم عسكراً، ورئيسهم محمد بيك الكتخدا في ثاني المحرم الحرام، فلما وصلوا إلى ذي الكفئ عليه السلام، ورد عليهم ابن قتيش حمدان وابن هداية وابن أخيه نور، وحمسة عشر رجلاً من كبرائهم، فما سمعوا انكثداً إلا أنه كبليهم بالحديد وأرسلهم إلى بغداد، فانضمت أمور المملكة، وسكت الفتنة، وشاع الأمن في الرعية.

وفي ثناء رحت انكثد بلعه أن شرب اس هذا وعبد الله بن حريمس من عنزة أقبلوا في غير ليكنلور، فمير انكثدا شيخ حراقة، وشيخ الطيخ أن يستأصلا ذلك العير، ونزل العسكر الديوانية، واشتغلوا بصب الحصر متطرين حراقة والطيخ المأثورين شتاليم، فمغ انكثد أن "تريشبن التتوا على غير ميعاد واشتغلوا بانقتال من الصبح إلى المساء، فكانت الهزيمة على عنزة، وغنم منهم الخزاعيون إبلاً، ووفدوا على العسكر بالغنائم، وارتحل الجميع وعبروا البرسقية الحائنة بين العسكر وبين جليحة وعنك، فاجتمعت الشيلتان على قتال الكتخدا.

فلما التقى العسكران، ونشب بينهم الحرب، فأما جليحة فبعض
 انقيصة أطاع، والبعض الآخر هلك، وأما عنك ففرقة انهزمت، وفرقة
 دخلت قلعة شحير، فقرب منها العسكر في الثامن والعشرين من شهر
 صفر، فأنذرهما الكتخدا ولم تغن النذر، فرمى عليها بالآطواب، وصمم
 على هدمها، فلما ثبث أهل القلعة تصميمه هربوا ليلاً هم وعيالهم،
 وتركوا الأسوار والأشغال، وفي الصباح هدمت القلعة، وصارت أموالهم
 غنيمة. وذلك بعدما أحكم من اليوسفية السد وألبس المشايخ الطنعين
 خلعة. وانزموا بأداء خمسين ألف درهم، وعين لاستيفائها منهم شيخ
 حزاة، وجعل على السد عقيلاً واللأونة، ورجع إلى بغداد في الخامس
 والعشرين من ربيع الأول، وقبل أعتاب الوزير العشار دود باشا والي
 بغداد فلبسه خلعة من السمور تليق بأمثاله.

وفي سنة ١٢٢٥هـ (خمسة وثلاثين ومائتين وألفاً): تمرّد
 آل دليم. فنجبر [٤٧] عليهم الماشا عكرًا، وأمر عليه الكتخدا، فسار
 إليهم وحزبهم وأنذرهم، فلم تغنهم لندر الأربعة منهم من مشايخهم
 أصعروا منهم الكتخدا وقبلهم، وتحقن الباقي بالأقبال مزومعين على
 القتال، في يوم الثالث، عاشر ربيع الآخر، انشب القتال بين الفريقين
 من طنوع لشمس إلى بعد الروال، فبثت رياح الصر على العسكر، وقتلوا
 العصاة أشرف قتلة، وأكثر الأشقياء غرق في الدحلة، وسبوا نساءهم
 وورديهم، ونسبت أموالهم وأمتعتهم، وأرسل الكتخدا للباشا يثّره بهذا
 الصر، فردة عليه الماشا جواباً مستصوباً أفعاله، حامداً شجاعته وحصله،
 وبعد ذلك عزم الكتخدا على تأديب قبلة روع وجمية وآل عيسى، وأهل
 قرية شغاني، فإن الجميع بدت عليهم آثار الخروج والعصيان، ومنعوا

الخراج، فلما قصدهم الكتخدا، فأما قبيلة زوبع فركبت متن الفرار إلى
البوادي والتفار، وأما جميلة وآل عيسى فاستقروا في الديار، والتزموا
أداء مبلغ نقدًا جزاء لأفعالهم، وأما أهل قرية شغائي فأدت الخراج صاغرة
ذليلة، وطلب الجميع الأمان والعفو، فمنحه إياهم، ثم رجع الكتخدا إلى
بغداد مظفرًا منصورًا.

وفي تلك السنة سكن محمد باشا ابن خالد باشا كركوك، فأساء
خدّامه على قضائهم، فشكروا أهل كركوك إلى الوزير المترجم، فأرسل
الوزير إلى محمد باشا ابن خالد باشا ليُزجر خدّامه عن المناسد والتعدي
على الرعايا، فقامت أمر الوزير، ولا ارتدع، فأرسل إلى متسلم كركوك
موسى آغا أن يتبّد محمد بيك ابن خالد باشا بالحديدة، ويرسله إلى
بغداد، وحجبه في الراية دار الإمارة.

فما علم خدّامه أحاط ثلاثمائة منهم بدار الإمارة، ونكّوا سيدهم من
الحديد قسرًا، فمدّ سع محمد باشا ما كان على والده وابن عمه بدم على
مفعله، فمضى يذهب لبيت أبي العجم، وأرسل الباشا يعتذر فيما صدر
منه. ويترجم الوزير في ذلك أبيه وابن عمه، بشرط عليه الوزير [٤٨] أن
لا يترك كركوك، وأن يجمع خدّامه من التعدي على الفخير والفقير، وأنعم
على أبيه وابن عمه بما يقوم بكنائسهما.

وفي هذه السنة ختن يوسف بيك ابن الوزير المترجم والي بغداد
وداد باشا، وحنّ معه ألف يقيم، ونثر الدرر والحواهر للناثر والشاعر وحنّا
أبوه المترجم شغائد غرر، وعُدّ يوم ختانه عيدًا على جميع الأهالي
حضورًا النشراء والعراء

وفي سنة ١٢٢٦هـ (ست وثلاثين ومائتين وألف): وهي الرابعة من حكومة المترجم: أرسل السلطان محمود إلى الوزير المترجم هدية إلى بغداد في غرة صفر، فأمر الوزير أن يستقبلها الكتخدا ورؤساء العساكر، وأنزلت في النلعة، وأكرمت من صاحبها.

وأما محمد بيك بن خالد باشا الكردي بعدما عفى النورير عنه أحد يعربد في الفساد، ورحل إلى كرمان عبد والينا محمد علي خان القحري، فحس والي بغداد أباه خالدًا باشا ليمنع ابنه من الفرار إلى بلاد لرفص، وعندما تحقق يحيى أفندي الحازندار أن محمد بن خالد باشا قرّ إلى العجم أخذ يلحم ويسدي في الفساد، وإصرام نار الفتنة لما به وبين مقاصده فحالاً حبه ثم قتله، وإبراز الأتية، وإظهار القوة العسكرية، خرج الوزير من بغداد في جيش جرار، ووصل إلى فريجات ليعلم الأعداء أن الليث ليس بئام ولا عائل، وقام للتصيد أيامًا، وأرسل أحاء الأمير أحمد بيك ليرغب به الأعداء، فلما علم صاحب كرمان بخروج الباشا رجع إلى كرمانه بحيته وخسرانه، ورجع الوزير دارد باشا إلى بغداد.

وأما سليمان بيك ابن إبراهيم باشا فانجزم إلى العجم لما كان بخيه من سوء السيرة، وأما خالد باشا الكردي المأسور فإنه لما تحقق الباش أنه ليس له دخل في فتنة ابنه فكه من القيد، وأطلق سبيله، وقال: ولا تور وازرة وزرة أخرى.

ومن انجزم إذ ذاك إلى العجم عبد الله باشا الكردي في مائتي فارسًا من كرده، ولما اجتمع هؤلاء لأمراء الأكراد عند والي كرمان أخذوا يثيرون الفتن، ويعيشون في الأرض بالفساد، ويعاونهم في الباطن والي

كرمان، فمن شرهم أنه [٤٩] غزا محمد بيك ابن خالد باشا قولاي وعلباد وخاتين، قتل من أهلها ونهبهم ورجع إلى بلدة ذهاب، فأرسل الوزير إليهم سرية من العسكر، فلم تلحقهم، وكلما خاطب الوزير والي كerman ينكر أفعال أسراء الأكراد ويشراً منها مع أنه أساسها وموقد نارها لما بينه وبين أهل السنة من العداوة.

فلما يحيى الباشا أرسل إلى الدولة العلية يطلب منها الإذن في محاربة المحم جمارا فحاء المنشور من الدولة وفيه الإذن بالحرب فحينئذ أمر الوزير عسكر الدولة والأكراد أن يجمع منهم ألف وخمسمائة خيال، ويتنظرون في الزنكبار، فحضرُوا وانتظروه فلَحَلَمَ عساكره وجموعه وقال: من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه، وبلغ وزير بغداد أن والي كerman أُعطى مائة الأكراد إلى عداته باشا الكردي وأنه حَيَّزَ معه خمسة عشر ألفاً من عساكر لمعاونته، وإخراج محمود باش الكردي، دُمر والي بغداد أن يسير محمد بيك الكتخدا مع العسكر بطرد أهل النساد ولصرة محمود باشا، فافر بعسكره والتحق بعسكر الدولة، وجلس ينتظر أمر محمود باش، فصر أربعين يوماً حتى ورد عليه أمر من محمود باش يأمره فيه بالسحق به، فإن والي كerman أرسل مع عداته باش خمسة عشر ألفاً من العساكر لأحد السليمية، خصوصاً حيث خن أمير الحاف، ولحق عداته باشا فصار محمود باشا في حيرة من أمره إلى أن وصه الكتخدا بعسكر الباشا، فتَوَيَّ عزائمه، وشدَّ ساعده، ولكن صار المدد يترادف على عداته باشا من طرف والي كerman، فحذ بحرب الثرى، وبسب وبفسد المزارع، ونهب من كان في مواحي الزنكباد من الرعايا.

فلحق الوزير هذا الخبر فأرسل أحاد أحمد بيك بعسكر، وما كناه

ذلك حتى لحق بنفسه لیساعد العساكر بهيمته، ويطفىء نار الفتنة، وأرسل إلى محمد بيك الكتخدا يأمره فيه سرًا أن يلحقه بعسكره، فإنه إذا اجتمعت ارمساكر في نقطة واحدة يشتد فعلها، وتكبر شوكتها، فكتب إلى الباشا [٥٠] يعتذر إليه بأعذار باردة توجب تخلفه، والحال أن ما مقصد اکتخدا إلا الخيانة والانضمام إلى عسكر العمم، لكن ما أحت إظهار الخيانة، لا بعد أن يتلك جميع عساكر الباشا، وعساكر الدولة.

فلما استشر عد الله باشا بخيانة محمد الكتخدا صار عده عيدًا، فرحل ونزل قريبًا من عسكر الكتخدا فأراد الكتخدا المحاربة ليوقع العساكر لسلطانية في هوة الهلاك، فصحه حملة من كبار العساكر أن لا يحارب في هذا الوقت، بل يتحقق بعسكره إنى الوريث داود باشا فأسى أن يسمع كلامهم، وتجمعت عساكر العمم مع عبدته باشا ومعهم والي کرمان، وكانوا خمسة عشر ألفًا، وعسكر الكتخدا الحاش ثلاث آلاف، وتشب القتال بين الفريقين ساعتين فقط، فكدت البزيمة على الكتخدا.

وأما هو فلحق بالعمم مكرما معرورا لما به وبينهم من الحبطة، فعصم الداء على المسحب، وفي تلك الأيام وقع وفاة عظيم، كاد أن ينسى أهل البصرة، وقد والله كنت إداك في البصرة، وشاهدت البول، والناس أيقنوا بالثلاف، وتأسفوا على ما كان من أعمالهم، فكأنهم حشروا وشروا، تراهم تذلل كل مرضعة عما أرصعت، وترى الناس سكارى وما هم سكارى، وهو طاعون كما ذكره الإمام النووي أن من علامات الطاعون الشيء والإسبال، ونكى صاحبه لا يقول فمى بال سلم، وقد كان لا يسلم، واستمر في البصرة من آخر شوال إلى آخر نقعدة، ثم حث إلى أن أراه الله بفضل، وصاحبه تعثره حرارة عظمة طاهرا وباطنا، فبعضهم

يلقي نفسه في الماء البارد من شدة الحرارة، وليس له دواء ينفع، وأول ما وقع في البصرة هبت الشمال نهاراً، ومات فيه من أهل البصرة أكثر من عشرة آلاف وصار هذا الوباء عامًا في أقطار جميع العراق.

وفي سنة ١٢٢٧هـ (سبع وثلاثين ومائتين وألف). وهي السنة المتممة للخمسين مدة مولد المترجم ركب محمد بيك الكتخدا متون الخيانة، ولحق بدار الرفض سولته له نفسه أن يكون والي بغداد، حتى أعزى والي كرمان على موافقة [٥١] فأخذ في شن الغارات على أطراف بغداد، وسار إلى كركوك وقاتليم وقانسر، وصرخوا صبر الكرام، ثم تركهم وزحف إلى أطراف بغداد ومعه حملة كبيرة من عساكر المعجم والأكراد إلى أن نزل قريبًا من بغداد بشمان ساعدت في ملّي عباس، وقد كن الورير أحبر الدولة بيده البزيمة التي صارت على العساكر، وبخيانة مكثدا محمد بيك وبلحوقه بديار المعجم، وأجبرهم أن والي كرمان مجمع الحمير، ولا يرجع عما في ضميره إلا بمحاربة بغداد

ولما قرب عسكر المعجم بغداد ونه يخرج إليهم الوزير، ولم يرسل إليهم عساكره بل ظل محققًا لأسرار السدة بغداد، وفي أثناء المحاصرة غزا محمد الكتخدا محنة ممن معه من عساكر الأكراد قرية الحالص، ونهب منها أربعين ألف رأس غنم، وخرب بساتين الحالص، ثم رجع بكثرة والتحق بجيش المعجم وكان أرسل والي كرمان سرية نحو ألف فارس لحلب الميرة، فلتقيهم ^①صنوف الحرساء وسدد شملهم وغنم أسلحتهم وجبايهم.

ولم سلم رئيس عرصي المعجم من المحاصرة، ولم يستند شيء منها

خاف أن يحصل مدد لداود باشا، فيدد شمل عسكر العجم، فما وسع
رئيس عسكر العجم إلا أن أشار إلى طلب الصلح، فأرسل الوزير من طرفه
محمد بن أبي دبس، ومحمد بن النائب تلميذه لأن يعقد الصلح مع والي
كرمان رئيس العرضي.

فلما تناوضا معه في هذا الشأن شرط رئيس العجم أنه أولاً يعطي
الوزير لواء بايان لعبد الله باشا الكردي، ويعطي لواء كوى وحرير لمحمد
بيك بن خالد باشا، وأن يرسل الوزير الخلعيتين الآن، وأن يعفو عنهما،
وتولية العاصي وإن حانقت فرحان السلطان، إلا أنه يرى الحاضر ما
لا يرى العائب، فداود باشا رأى المصلحة في الصلح اقتداء بالرسول ﷺ
في رقعة الحديدية، فستار داود باشا أعيان خدمته، وأعيان بغداد،
فكلهم أشاروا بالصلح، فأحد منهم سددت بأن لئيم الرغبة في الصلح،
فحينئذ أنشأ على أمر الصلح، وأرسل الخلعيتين إلى الواليين المذكورين،
فتم الصلح، ورحل عرشي العجم، ورد من المنهوبات نحو عشرة آلاف
من المواشي [٥٢].

وفي ثناء سنر رئيس عرشي العجم مات وهمك، فصمت الديب
داود باشا وسالته جميع الأعداء، وهذا من علامة سعده، وإن خطه
لا زال في إقبال، وفي أيام نزل والي كرمان قريباً من بغداد، دخل سكان
القرى خوفاً من القتل والسط، فصاروا يتأوون في المدينة للاطمئنان،
ولكن محمد انه لم يغلب سعر الأقوات قط، بل سعرها صار أرخص من
الأول، وهذا بسبب سياسة الوزير.

① ومثل بغداد بلد كبير لا يمكن حصارها على الروح الأتمة، لأن مدينة

كبيرة، ولها طرق متعددة، والبحر الحلو متخللها، فلا يمكن ضبطها من كل الوجوه فأهلها لا يزالون شعبانين ^(١) زيايين، فلهذا أيس العجم من محاصرتها، وضرب الصلح، فلما انتهت مدة الحصار رجع سكان القرى إلى أوطانين، ورفع البشا عنهم الخراج في هذه السنة لما أصابهم من الضرر.

ومن جملة من طغى ونفى في أيام الحصار بعض الأعراب، فصار يهيب ويخرب بعض الأماكن، فهب من رعايا الدجيل [...] ^(٢) على ذلك أرسل الوزير المترحم سرية لتأديبه ولرد المنهوبات، فرد المنهوبات، ورجع عن طغيانه، ومن حين ستر عرضي العجم من بغداد أخذ داود باشا يللمل محاوله، ويعمى حيث حرر، لأحد الثار من العجم، لكنه صار ينتظر أمر الدولة عليه ليحاو به عما سألهم فيه من المدد بالعساكر، فما شعر بالأمر السلطانية عليه، وعلى واني ديار بكر رؤوف باشا. رفعت رئاسة العساكر جميعاً لداود باشا، وأن يتوجه هو والعساكر جميعاً لمحاربة أشه عباس بن شه العجم، وصحبهم أيضاً عسكر من الأناضولي، ووالي الموصل أيضاً بعكروه.

⑤ الغرمان

ولما تجمعت العساكر ورد أمر آخر سلطاني ومعه كرك سمور هدية من السلطان إلى داود باشا، وبحثه فيه على أنه لا بد من إهلاك الحاش محمد الكنخدا، وأن يصرف في طله حينده، حتى يكون عبرة لغيره من المارقين الساعين، وهذا الغرماني ^(٣) مع الكرك، ورد مع أحد حذام السلطان المستقن خاكي إبراهيم أفندي.

(١) كلمة عبر منبرمة

① وفي سنة ١٢٢٨هـ (ثمان وثلاثين ومائتين وألف) [٥٢]: غزا صفوف بن فارس الجربا الشمري الأمير عباس بن شاه العجم، وعبر نهر دباله بفوارس شمر إلى أن صار بمرأى من عساكر الشاه، فركب عليه فرسان العجم، وكروا عليه فاستطردهم حتى عبروا نهر دباله وبعثوا عنه، فعطف عليه شمر وصفوف الجربا، وشذوا عليهم شدة الأمور على الفرائش، فأدبرت فرسان العجم، وقنأهم فوارس شمر، وقتلوا منهم من أدركوه، وأتوا بخيلهم وسلبهم.

وأخبرني غير واحد أن هذه الواقعة غير الأولى التي ذكرها المؤرخ التركي، ولأجل هذه الخدمة التي خدمها صفوف الجربا، ونصرة التي نصر بها سيد الوزراء، أنعم عليه داود باشا ببلدة عانة، وما تبعها من القرى، وهو إعطاء لم يسمع بمثله إنما هذا الوزير أراد أن يشتري الأحرار بدل العبيد.

وفي هذه السنة (١٢٢٨هـ): وقعت واقعة بين سكان سدة الربير، وكانوا قلبا يدا واحدة على من قصدهم شر، حتى فت بينهم ضربان. الحلاف، ففرق ائتلافهم وأوقع بينهم الحسد والبغضاء، وذلك أن محمد بن ثاقب بن وطان يحسد يوسف بن زهير على ماله، وعلى ما أنعم الله به عليه، ولاستعداده أشراف الناس بمساحه وغوايه، فادعى ابن ثاقب على ابن زهير دعوى يكذبها من له أدنى عقل، وتلك الدعوى أن يوسف بن زهير أمر بسم راشد بن ثامر، وصدقه في دعواه بعض المعفلين، وأفشاهما من يحب أن تشيع الفحشة في المدن آموا، وكل هذا إرضاء لآل المنتقى.

وكان ابن ثاقب قبل دعواه مصطفياً بعض أوباش أوغاد عقول لهم لأن يعينوه على أخذ يوسف بن زهير وتسليمه إلى حاكم البصرة، فسعى ابن ثاقب إلى حاكم البصرة فصّده المغفل من غير أن يقيم دليلاً على صدق دعواه، خصوصاً والدعوى على غائب لا تسمع، فالتسلم رفع التصد إلى داود باشا، فلما شاع خبر السم أخذ يوسف بن زهير في التحذر، واتسم إليه كل من له عليه معروف، وتحتير في بيته من بغضب لغضبه، ويعيش بيه.

فلما علم ابن ثاقب أن عدوه تحذر وأنه في حصن من [٥٤] الرحاح لا يمكن اقتراسه، ولا يمكن إيتاخ المكيدة به، أمر الرمرمة الأوغاد التي اصطفاها أن يبحموا سلاحهم ليلاً على ابن زهير في داره، فلما مدّ اليدين روافه تجمعوا وأرادوا النهوم على ابن زهير فأحس بهم خدام ابن زهير فس أن وصلوا إلى باب داره، فثاقبوا وقتل من أتبع ابن ثاقب، وانجزم الباقى، ورجعوا حائبين، ثم دخلوا البصرة، وأخرجوا منها مأمراً داود باشا حذراً من نتائج الفتنة وصرر الناس

فرب من ثاقب وأتبعه قريب من جبر معقل، ومنسلة البصرة إذ ذلك محمد كاظم أفندي، فما زال ابن ثاقب في منزله حتى هجم عليه رحل كثيرون في الليل، وأرادوا قتله فاشتد القتال بين الفريقين، وقتل من قدر الله عليه بالشقاوة، إلا أن ابن ثاقب سلم وأجرم حتى عبر المرات، وحمل يكتاب من يساعده من أصحابه، وأكثر من كان يساعده مرّاً وحيراً مسلماً لبصرة محمد كاظم أفندي، فإنه صرف في تأييده حبه وكثيراً يخبر الوزير المترحم بصحة دعوى ابن ثاقب، ولما ورد حمود بن ناصر من البادية خدع يوسف بن زهير بمودته.

فلما ورد عليه وصار في قبضته منعه الانصراف، وركب معه الاعتاف، وبقي عنده مدة حتى مَرَضَ من شدة القهر أو من أمر آخر أعلم به، فلما اشتد به المرض أذن له بالانصراف، فما دخل البصرة حتى قبض رحمه الله، كان ذا صدقات وأعمال برّ وعفّة عن المحرمات وسيرة حسنة مذ شئت إلى أن مات، وهذا ما أعلمه والله يتولى السرائر.

ومما وقع في تلك السنة انتصار الدويش على بني خالد، وذلك أنه وقعت معركة بين الدويش من قبيلة مطر وبين خالد بن عرعرة، وكانت الهزيمة على الدويش، وركبوا من الهرب واقتفى أثرهم بنو خالد، والغلبة في الظاهر لبني خالد إلى أن نزل الدويش على ما يسمى الرصيمة، واستنوا وربّوا، وبنو خالد على غير ماء، وانهم أيام وهم في الطراد، فعالّ عرب مطر بينهم وبين الماء، واشتد بينهم الطعان والاحلاد، فتصعصع الحالدون من شدة العطش [٥٥] وعلموا أن الكثرة لا تنفع إذا لم يصحب الرّي، فعم مطير أموالاً وخيلاً، وعظمت شوكتهم في البادية، وهذا اليوم يسمى يوم الرخبة ومن قتل في هذا اليوم من كبار العرب حباب من البرزخ، قتله مشعل بن معيث بن هذال، ومن قتل أيضاً مغيث أبو مشعل، ومن قتل من سادات بني خالد دحيث بن ماحد بن عريعر، وأعظم الناس من حارب بني خالد قتلى القبيلة المعروفة ببني حسير، ومن قتل في ذلك اليوم خريم بن لحيان من كبار قبيلة السبيل قتله أشجع بن خالد، وسعى من الثقات أن (المطيريون ماجد بن عريعر الحميدي شيخ بني خالد^(١)) قالوا لسلامة حباب

(١) من ركب الحيل من العرب في أيامه سدران هو من السبور من عذرة

حاشية خوسرو بن محمد

وخزيمة بن لحيان [...] ^(١) أحب عندما من غلبتنا لبني خالد ولنودة أن لا يبقى لنا خوف ولا حذر، ويسلم ذلك الرجلان لها فيهما من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم والشجاعة.

وَأب المطيريون بنم قحطابيون على ما ظهر لي من كتب الأنساب، ومن وقّع تلك السة يوم بصاله وهو لثيلة شمر علي بن هذال من عنزة كبرة عبد الله بن هذال، وكبير شمر صفوف الجريا الشمري الروبعي، وكانت العلبة لشمر على العنزيين، واستولى الشمريون على هودح بنت هذال، ونهبوا أموالهم، ولما عر ابن هذال انشأت استعانت بقبائل عنزة لأحد كثر وغس المعر، فاجتمع العريون وعبروا الفرات إلى الجزيرة ثم ساروا قاصدين شمر.

ودخبت سنة ١٢٢٩ (سبع وثلاثين ومائتين وألف). والتشوا في موضع يسمى الشيحة، وشقوا أبنائنا وسحرت مشتعة بينهم، ولطعن والقتل كل يوم، ثم في آخر الأيام شقوا من الصبح إلى المساء، فكنت الهريسة على شمر ونهب العنزيون أموالهم.

ومن قبل في هذه الواقعة من سرب شمر مطرب من حميد لأسمي من حضاب، ولما اكسرت قبية شمر شد الوزير داود باشا عظم كبيرهم، وأعطاه عضة له يسمع منه ولا يصدقه العقل، دأ على أن هذا الوزير هو حاتم برفت، ومن كرمه [٥٦] أنه قضى دين مولانا الشيخ حاتم الشنسي الشبرزوري، ودفع عنه دفعة واحدة ثلاثين ألف غاري، غير ما أعطاه مشرق قبلاً وبعد.

(١) كلمة غير متبررة

وفي سنة ١٢٤٠هـ (أربعين ومائتين وألف): جهز السلطان عرضي
عسكرياً جراراً لمحاربة المورا وهي من بلاد اليونان وأصلها كانت في حكم
الدولة العلية، فلما سعت الدولة بقتل بعض اليكجورية عصت المورة
ورامت الاستقلال والخروج عن طاعة الدولة العثمانية، وممن خرج
عسكره معاوناً للسلطان محمود إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي
مصر فتوجّبوا للحرب ونصرهم الله، وفتحوا جملة بلدان من المورا ونهبوا
وسبوا، واستمر الحرب فيها إلى مئة ألف ومائتين واثنين وأربعين،
وبعدما فتحوها جملة، أعان أهل المورا جميع نصارى الدنيا من جميع
دور الإفرنج على خروجهم عن حكومة الدولة العثمانية واستقلالهم،
وكانت الدولة العثمانية إذ ذاك قليلة العسكر لأنه ثر قتل البكورية فما
وسع الدولة إلا الصلح بخروج المورا عن تسلط بي عثمان، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي آخر تلك السنة تحرّك محمد بيك الكتخدا وشرع في الإفساد
واسم إليه جماعات من رعاع أسس وسفائيات، وأدعى وزارة بغداد،
ودخل الحلة ومساكنها، وبيما دحبا يستعد الساسدين من أهلها، وبعض
أوثانها، فلما بلغ الوزير المترجم فتى أهل الحلة العبد جهّز عسكرياً
وقصدها لإحماذ بار الفتنة.

أولاً

فلما قرب الحلة انتهى عسكره مع عسكر الكتخدا، وشب بينهم
القتال، وممن أظير الشجاعة في ذلك اليوم من عسكر أسا عليل وتبينوا
فيه وأدوا سيوفهم من دم البقاء، وفي آخر الخبر كانت البزيمة على عسكر
الكتخدا، وقتلوا شراً قتلة، وتشتتوا شذر مذر وفرّ محمد بيك الكتخدا،

والتجأ إلى حمود بن ثامر فلم يقبله ففرّ إلى أن وصل الحويضة، فاستقر هناك، وأما عساكره ففروا وعسكر عثيل خلفهم إلى أن عبروا الجسر، فعبر العقيليون الفرات، ودخلوا الحلة، وأذاقوا أهلها كأس الممات، ونهبوا البلدة وحتكوا حرمتها لما ارتكبه أهلها [٥٧] من الخيانة، ونقض العهد، وكانت هزيمة الكنتخدا التي أدله الله بينا وخذله في أول سنة ١٢٤١ هـ إحدى وأربعين ومائتين وألف.

وفيه ورد على الوزير المترجم محمد بن عبد العزيز بن مفاص، ومحمد بن منار من أجواد العرب وشجعانها، فأكرمه الوزير وأعزّه ورفع منزلته، لأن محمد كان قل ذلك مشغولاً إلى ثويني بن محمد بن مبيع شيخ المستنق، وكذلك عبد حمود بن ثامر، ثم تغيّر خاطره على حمود فتصدّ لوزير يستنصر بكرمه، فلما رأى إكرام الوزير له ترشّح لمشايخة المستنق، لكن لم يوافق وزيره على ذلك، لأنه كان وعد بينا ابن ثويني، لأن أبا كان شيخاً على المستنق وكسب حظه عبد الله وجد أبيه محمد وحده حظه مانع، والملوك من شأنهم رفع ذي البيوت وذي الشرف.

وفي هذه سنة قدم على الوزير حبيب بن مبيع بن قنبل بن صفير أحد أكبر آل شيب، فأكرمه الوزير وأحرل عطاءه، ولما اجتمع هو ومحمد بن عبد العزيز بن مغي أن الوزير عزم على عزل حمود ونصب براك بن ثويني على بني المستنق، فعرضت أحوالاً دأخر ذلك.

وفيه قدم على براك بن ثويني جماعة من آل صالح وهم شيبير، وقدم عليه أيضاً محمد بن مباح الأحودي العقيلي أحد مشايخ بني المستنق وفرسانهم. وقضى براك بن ثويني بهم، وتوحيث إليه أنصار الوزير وكاد

يؤليه رياسة بني المتفق إلا أنه أحرها لمصلحة.

وفي تلك الأيام أرسل حمود بن ثامر إلى محمد الكتخدا، وهو في الحويضة فقدم إلى العراق لإنارة النساد، وأمر حمود خفية آل قشعم وآل حميد وآل ربيع أن يساعدوه لكونهم ساعدوه لما دخل الحلة، فلما انبرم انبزموا إلى آل المتفق لخيانتهم.

وفي هذه السنة غزى براك بن ثوبني ومعه آل شيب عفاً واس شايي تسد ومن معهم من البعاع، فتحصنوا بالمياه، وخاض المتفقون المياه، وقتل من أكارهم وورسهم دويحس بن معاص بن عبد الله بن محمد بن مانع الشيبسي، وقتل أيضاً ابن الثامر بن مينا بن فضل [٥٨] ابن سقر وهو شيبسي، وكان مع براك بن ثوبني شيخ ريد فلم تكن منه مساعدة لعدم إخلاعه في خدمة الباشا.

وفي هذه السنة أمر أمير المؤمنين السلطان محمود بنده أنه على الجند المسميين بالانكجارية بالقتل، وقتل منه الوفاء ونسخهم من ديوان الحمد، وكتب إلى سائر مدائنه أن يبرئهم، ويسحوا هذا الاسم من ثوبهم، ويعدوها غصب السلطان أيضاً المدونات الكتشية الكائنين في إسلامبول، بل وفي سائر أحكامه أن يطردهم من تكاياهم، ويبرئهم لكونهم روافض.

ولما ورد الأمر على مولانا المشرحه أحمى التكايات من الكتشية، وطهرها من الرقص، وولّى علياً أحد خدمه حليل ثمدي، فولّى إمامه السيد طه الحديشي تكية المدونات في بغداد، ولكنه عزله بعد ثلاثة أيام

وفي سنة ١٢٤٢هـ (التيين وأربعين وخمسين وألف): قدم بغداد

الشيخ عقيل بن محمد بن ثامر، فأكرمه الوزير وألبسه خلعة ولاية بني
المتنق في الرابع عشر من شهر صفر وأعطاه حُللاً وسلاحاً وسيرفاً
ودراهم ليهادي بها قومه، فلما ألبسه الخلعة، وتوجه كتب الباشا إلى
متسلم البصرة إنا خلعنا حموداً من الإمارة، وولينا عقيلاً بدله، فأظهر هذا
الأمر عندك، وقم على ساق الجد في حماية البصرة، وما والاها، فمذ
وردت على المتسلم تلك الأوامر أظيره، وأخذ في التحذر.

فلما تبين لحمود عرله خف عقله وطاش لبه، فأمر بنيه ماحداً
وفيصلاً أن يقصدا البصرة ليستوليا عليها، فزحفا عليهما مع ثمرهما، وبدبا
لمحاصرتيها كل رافضي وإياضي، فأما ماجد فإنه نزل قريباً من نهر معقل،
وأما فيصل فنزل دباسلأل ومعه الإياضية من أهل مسقط، والروافض قبيلة
كعب، وخرج عليهم من طرف وائي الحصرة عسكر عقيل، ونشب النزال
بين الثريتين، واشتد وحمي الرطبس، وأظهر عسكر الباشا الشجاعة
انتامة، فكانت اليزيمة على عرب المتنق، لكن لما كانت داخل المقننة
انحسب استشهد جملة كثيرة من العسكر المعقبليون الحديدون، ثم رجعوا
إلى الحصرة [٥٩] منصورين غانمين.

وبعد هذه الواقعة اشتد عصبهم مع أن فيصلاً بن حمود لم يبق أحداً
من طلاب الشر إلا ^١اشقات به ولا عدواً لأهل البصرة إلا استجد به مع أن
إمام مسقط ملا الشط بالسن وساعد ماجداً وفيصلاً برحاه ومنه.

هذا ولما رأى متسلم البصرة غشيق الحال وكثرة الأعداء صالح إمام
مسقط بما اقتضاه رأيه، وعقد معه الصلح، وسافر وشي فيصل وماجد بلا
مساعدة إلا بعض غواة شياطين وأباش لا خلاف لهم ولا ثبات لهم، وفي

أول ربيع الأول خرج عتيل من بغداد قاصداً محل مأموريته سوق الشيوخ،
ومما يدل على إقبال سعد الوزير أنه في هذه الأيام وردت بشرى برؤوس
قبيلة الأقرع، وذلك أن المناخور سليمان أفندي كان محاصراً للأقرع،
ومعهم ابن قشعم وعتيلته ومحمد بك الكتخدا وجنده ورستم وغيرهم من
أهل النساد الروافض، وكان مع سليمان أفندي قبيلة زبيد المعروفة من
كبلان، وعسكر عتيل وشيخهم جعفر بحيث أن عدد عساكر سليمان
أفندي على العشر من أعدائهم، لكن مع سليمان أفندي أطواب معدة،
فلما انتهى العسكران ونشب القتال بين الفريقين أرعدت عليهم الأطواب
كالصواعق وحصدتهم حصد الزرع فانهمز عسكر الأشقياء، وفر الكتخدا
وشباطينه، فغنموا منهم العسكر غنيمة كبيرة.

وبلغني ممن اتق به أن من قتل في ذلك اليوم من عشيرة الأقرع
يزيدون على الألف، بل قيل ألثن، ولما وردت البشـرى على الوزير
ومما رؤوس الشـطحين أمر ببناء ضارئين من تلك الرؤوس ليكونوا عبـرة
لغيرهم ثم إن عتيلاً أقام في أرض عنك زماناً طيلاً تأملاً أن يأتيه أكابر
قبيلته، والوزير المترجم كان ينبأه عن المعجـلة، ويأمر بالإناء.

ثم أن الوزير أرسل له عسكراً ورئيسهم سليمان آغا المناخور ليشدوا
عضده، ومعهم من شيوخ أهل البادية صفوق بن فارس الجربا الشمري.

وأما البصرة فإنها في تلك الأيام آمنة [٦٠] بسبب سياسة متلحميا
وشجاعته، وساعده على تأمين أطرافها سكان بلدة الزبير، وشدوا عضده،
وقد ذكرت قبلاً أن فيصلاً نزل دباسلال وأكثر على البصرة بالغارات، فلما
سافرت أمام مسقط رحل عنها ونزل على أخيه في نجر معتل، وأشار عليه

أن يذهباً إلى والدهما، ويستشيراه فلم يقبل ما أشار به أخوه قائلاً لا أحول
حتى أملك البصرة بالسيف وأجعل عاليها سافلها، وأقتل عالمها وجادلها،
وأستبيح الفروج وأهدم القصور وأريق الدماء في طرفها.

فلما سمع أخوه مقاله قام من عنده موقناً أن الله لا ينصره ما دامت
هذه نيته، وسافر إلى والده، وعند قدومه على والده ورد محمد بيك
الكتخدا ليضرم النار أكثر من الأول، وما درى أنه أشأم من طويس، ما
ترك بقبيلة إلا حل بهم الدمار.

وأما ماجد بن حمود فإنه جمع جموعه وأكثرهم روافض كعب وصنع
سلاطيم ليصعد بها سور البصرة، وهجم على البصرة ونادى مناديه أن الأمير
ماجد أباح البصرة ستة أيام، فلا تدعون فيها فرجاً ولا مالاً إلا سلب،
فخرج عليهم عسكر عقيل التجديون، وسكان الزبير ونشب بينهم القتال،
وصبوا عليهم من الرصاص الذي يزيد على المطر، فما اشتد الوطس إلا
والهزيمة على رأس ماجد وقتلت عساكره أشر قتله، وركب الباقي متن
الفرار، وانقطعت العسكر مع المتسلم، ونهبوا خيام ماجد وأموالهم
وسلاحهم ورجع التجديون إلى البصرة منصورين غاثمين.

ولما ورد ماجد على أبيه وجده قد فارق عزه وسؤدده، وذلك أن
عقبلاً نزل البغيلة، وورد عليه أعمامه الكرام، وفرسان بني عمه فأكرمهم
وهاداهم، فلما رأى حمود أن إخوانه فارقه علم يثينا أن سعد قد أدير،
وأن سعد الوزير في شبابه مثيل، فركب خيله، ولزم انصرار إلى البادية
لدهائه وعقله، فورد عقيل على الوطن بعسكر الوزير، واستقر على كرسي
حكومته مكرماً لبني عمه وعمومته، فلما استقر عقيل وأطاعه
الحاضر [٦١]، والبادي رجع المناخور بعسكره إلى بغداد.

وفي الثالث عشر من صفر ورد الشفلح على الوزير فعفى عنه وأكرمه
وهكذا عادة الوزير سريع العفو على المجرمين، والشفلح هذا شيخ قبيلة
زبيد، وكانت قبل الآن سنية، وأما الآن فبلغنا أنهم ترفضوا، ولعلهم
اكتسبوه من جيرانهم.

باب

فيمن قرأ عليهم العلوم الوزير المترجم داود باشا :

أما القرآن فجوّده على شيخ القراء محمد أفندي والموصلي، وأما
النحو والصرف فقرأهما على الملا حسن بن علي الزوزجي، وأما علم
الرياضي فقرأه على لطف الله أفندي بن عبيد الله كاتب الديوان زمن سليمان
باشا أبي سعيد، وأما السطّول فقرأه على أسعد أفندي بن عبيد الله بن
صبغة الله مثنى الحنّية في دار السلام، وقرأ عليه أيضًا علم آداب البحث
والمناظرة وعلم الوضع، ثم قرأ علم المعاني والبيان والبديع على الملا
صبغة الله بن مصطفى الكردي، وقرأ عليه أيضًا علم الأصول وتفسير
البيضاوي.

باب

في ذكر من أجازته من العلماء في العلوم والحديث :

أفضل من أجازته مولانا السيد زين العابدين جمل الليل وقد مرّ طرف
من ترجمته والثناء عليه، وسنده معروف مشتهر عند جميع الأمم، توفي
السيد زين العابدين جمل الليل المدني سنة ١٢٣٥هـ خمس وثلاثين
ومائتين وألف، وله مؤلفات بديعة، منها كتاب في المشتبه والمشتق،
ومنها اختصاره للمنيح وشرحه.

وممن أجاز الوزير المزيدي داود باشا شيخنا علي بن محمد
السويدي البغدادي الشافعي، وسنده معلوم، توفي رحمه الله تعالى بالشام
سنة ١٢٣٨ ثمان وثلاثين ومائتين وألف.

باب

في ذكر من أخذوا العلوم عن الوزير المترجم داود باشا :
وهم كثيرون بطول استنصاؤهم، فمنهم مولانا السيد محمود
البرزنجي الذي اشتر علمه في بلاد الأكراد اشتر الشمس في الرابعة،
ومنهم العلامة محمد بن النائب، وغيرهم ممن لا يحصون عددًا.
انتهى ما كتبه الشيخ عثمان بن [٦٢] سند البصري من أخبار الوزير
داود باشا والي بغداد، وبعد هذا صار المؤلف يرد أبحاثًا أدبية وقصائد
ونثرًا، دالة على سعة باعه في المنثور والمنظور، ولكنها لخلوها من
الوقائع التاريخية أضربنا عنها فإن أكثرها أحاجي ونوادير على طريق
المناجات، ليس هذا المختصر محلها، وقد تم المختصر على يد جامع
الخير إليه تعالى أمين بن حسن حلواني المدني الحنفي تغمده الله برحمته.
تحريرًا في ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٩٣ ثلاث وتسعين ومائتين وألف
من هجرة سيد المرسلين ﷺ.

